ResearchGate

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: https://www.researchgate.net/publication/324154690

المستخلص في النقد التاريخي، مفهوم الوثيقة التاريخية، قواعد النقد التاريخي، نقد التاريخ القديم

Book · April 2014

CITATIONS
0

READS
8,291

1 author:

عارف المخلافي
Umm Al-Qura University
8 PUBLICATIONS **0** CITATIONS

SEE PROFILE

Some of the authors of this publication are also working on these related projects:

الطب في اليمن القديم View project

هل كانت يثرب مملكة ؟ View project

All content following this page was uploaded by عارف المخلافي on 02 April 2018.

The user has requested enhancement of the downloaded file.

المستخلص في

النقد التاريخي

مفهوم الوثيقة التاريخية - قواعد النقد التاريخي
نقد التاريخ القديم

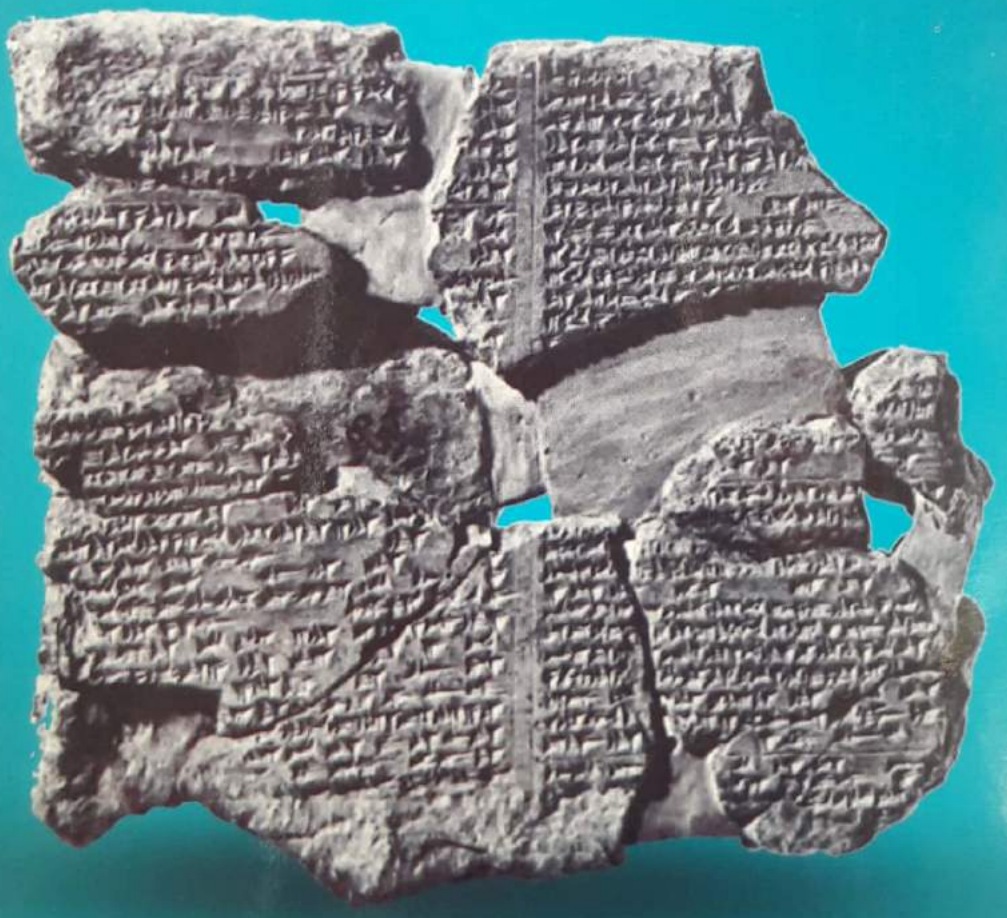

الدكتور / عارف أحمد إسماعيل المخلافي

أستاذ تاريخ وحضارة الشرق القديم والجزيرة العربية القديمة المشارك
في جامعتي صنعاء باليمن - وطيبة بالمدينة المنورة

مكتبة الإكليل الجديد
عدن

دار النشر للجامعات
صنعاء

صنعاء
1435هـ / 2014م

Scanned by CamScanner

المستخلص في

النقد التاريخي

مفهوم الوثيقة التاريخية – قواعد النقد التاريخي

نقد التاريخ القديم

الدكتور

عارف أحمد إسماعيل المخلافي

أستاذ تاريخ وحضارة الشرق القديم والجزيرة العربية القديمة المشارك

في جامعتي صنعاء باليمن – وطيبة بالمدينة المنورة

صنعاء

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

دار النشر للجامعات

صنعاء

Scanned by CamScanner

المستخلص في
النقد التاريخي
د . عارف المخلافي
الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م
دار النشر للجامعات
مكتبة الأكاديمية اليمنية
الجمهورية اليمنيـــة
صنعاء
ت : ٢١٤٥٤٩
فاكس : ٢١٤٣٠٥
ص.ب : ١٢٤١٢
التنفيذ الفني والإخراج
دار النشر للجامعات

حقوق الطبع محفوظة
لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخة في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه . ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

البريد الإلكتروني للمؤلف:
dr_arefahmed@hotmail.com

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠١٤/١٩٨

للتواصل والنشر :
Universities1@gmail.com

الإهداء

إلى
أمي
الغالية

Scanned by CamScanner

مُقَدِّمَة

النقد التاريخي: هو ممارسة علمية منهجية ينتقل بموجبه المؤرخ من مرحلة القراءة والاقتباس إلى مرحلة الفحص والتدقيق والتمحيص، بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية بحياد تام وعبر سلسلة من الأدوات المترابطة التي تصنع تاريخياً من خلال مادته وحقائقه. وبدون فحص وتدقيق تلك المادة فإننا لن نكتب تاريخاً، وإنما سنكتب فلسفة للتاريخ، وهنا تكمن أهمية النقد التاريخي ودوره العميق في قراءة وقائع التاريخ وحوادثه على أسس علمية واقعية، بعيداً عن الحب والكراهية، وعن الصراع بين الأنا والآخر، وعن التعصب لفكر أو لمذهب أو لجماعة أو لقبيلة أو لمجتمع أو لجنس أو لدين. فقط التاريخ كما هو بخيره وشره، وتجربته ومدرسته، باعتباره أفضل معلم ومرشد ومربي.

وما تلك المؤلفات التاريخية التي نقرأها ولا نجد فيها للتاريخ طعماً ولا رائحة، سوى انعكاس لعدم دراية أصحابها بمنهج النقد التاريخي، فيخلطون الغث بالسمين، والوهم بالحقيقة، ثم يتخيلون تاريخاً يقدمونه لنا على أنه استقراء واقعي، وحقائق دامغة. وعادة ما نلمس هذا الوضع عندما نقرأ كتباً أخرى في التاريخ أعمل أصحابها النقد التاريخي عن معرفة ودراية، فأخرجوا تاريخاً قُدم على طبق علمي رفيع الطرح والرأي والفكرة..

إن كثيراً من المؤرخين المُحْدَثين لا يستخدمون النقد حتى في أبسط أحواله؛ ونتيجة لذلك يقدمون لنا تاريخياً بعيداً عن الحقيقة والواقع ...

Scanned by CamScanner

فكيف يكون النقد التاريخي ؟. وما هي آلياته وتقنياته ؟. وهل هو فرض واجب في السراء والضراء ؟، ام هو ضرورة علمية بحسب اقتضاء الحاجة ؟، ما هي خطوات النقد ؟، و ما هي المهارات التي ينبغي أن يكتسبها الناقد ؟، هل بالإمكان ان نؤرخ و نستجلي الحقيقة التاريخية ؟، كيف سيكون حال المؤرخ الذي تخلى عن النقد، أو إذا اكتشف مؤرخ آخر عشوائية العمل الذي قام به ؟، ثم هل كل إنسان قادر على النقد ؟، وهل كل ناقد معصوم من الخطا ؟، وما هو الخطأ الذي يمكن ان يقع فيه المؤرخ ؟، وكيف يتلافى الأخطاء أو يقلل منها ؟، كيف يتعامل المؤرخ مع ظاهر الوقائع، وكيف يصل إلى نوايا وأفكار ومقاصد مؤلفها؟، كيف يتعامل مؤرخو التاريخ القديم مع وثائقهم التاريخية ؟، ولماذا لم يهتم احد بنقد التاريخ القديم والاكتفاء بأمثلة بين السطور على الرغم من طبيعته الخاصة ؟.

لقد فكرت بتقديم هذا المستخلص بعد قيامي بتدريس مقرر النقد التاريخي لطلبة وطالبات الدراسات العليا بجامعة طيبة بالمدينة المنورة منذ خمسة أعوام؛ وسبب ذلك هو إما عدم وجود كتاب في النقد التاريخي يبسط الفكرة ويقرب المعنى، أو لجنوح كثير من المؤرخين لاعتبار النقد التاريخي جزءاً من منهج البحث التاريخي، وبالتالي يضيفونه ضمن ما يؤلف عن المنهج، فلا تتحقق الفائدة لهذا ولا ذاك.

صحيح أن المنهج -وقد درسته كذلك مراراً- والنقد وجهان لعملة واحدة، ولكن من خلال تجربتي الخاصة وصلت إلى قناعة أنه لا يمكن تدريسهما في مقرر واحد.

فالمنهج يُعلم الطالب مناهج كتابة التاريخ، وكيف يختار موضوع البحث، وكيف يعد الخطة العلمية، و كيف يحدد اهداف البحث ومشكلته ويفرق بينهما، وكيف يتعامل مع الدراسات السابقة بعرض امين لها، والتعرف على انواع الملاحق وأهميتها، وكيف يعد الفهارس، و كيف يتعلم تقنية التعامل مع المصادر والمراجع، وأساليب توثيقها إذا كانت كتباً، او ابحاثاً في دوريات وموسوعات، وكيفية الوصول إلى المعلومة واستخدامها وتصنيفها وتنظيمها، وكذلك التعرف على أخلاقيات البحث العلمي من حيث الأمانة والحياد ..، وكيفية الاستفادة من العلوم الأخرى لفهم التاريخ ومن ثم تطبيق كل نقطة على حدة، ثم القيام بتطبيق عملي بإعداد بحث ومناقشته. وهذا يستغرق وقتاً طويلاً لنقل الطالب إلى مرحلة المُخَرج العلمي المفيد للدارس بوجه خاص وللمجتمع على وجه العموم، سواء في مرحلة البكالوريوس او الدراسات العليا.

أما النقد التاريخي فهو مرحلة تالية، وهو منهج أرقى بكثير لا يمارسه إلا من عرف وطبق، بعكس المنهج الذي يمارسه الجميع ويتفق على قواعده الجميع، حتى أولئك المهتمين الذين لم يدرسوا

Scanned by CamScanner

منهج البحث العلمي. فهو يتعامل مع مؤلفات الآخرين ووضعها موضع الشك، بل ويذهب لقراءة أفكارهم، والتعرف على نواياهم، والدخول إلى باطن عقولهم؛ لمعرفة ما هو صحيح وما هو مزور، وما هو صادق وما هو كاذب، وما هو محايد وما هو منحاز، ومن هو شاهد ومن هو ناقل، وما فيه أمانة وما فيه تدليس، ولمعرفة المجهول وتصحيح المعلوم. وكل ذلك لا يكون إلا من خلال التطبيق العملي على الوثائق وممارسة قواعد النقد عشرات المرات ومناقشتها وتصويبها وتقويمها، بل وحتى التفريق بين الوثائق ذاتها:

ما كان مخطوطة كاملة، أو عقداً، أو اتفاقية، أو معاهدة، أو مرسوماً، أو نص تأسيس. بل تكاد تكون الوثيقة بالنسبة للمتخصص في التاريخ القديم على وجه الخصوص: نص، ولوحة فنية، و تمثال، وأدوات منزلية، وحلي، وأسلحة، وغير ذلك؛ لأن كل واحدة من هذه قابلة للتزوير والادعاء والتلف، ومنها ما هو محلي، ومنها ما هو مستورد، ومنها ما يدل على غزو، ومنها ما يدل على علاقات طبيعية، ومنها ما يدل على تطور فكري أو ثقافي أو معرفي، أو حتى تطور في جوهر الحضارة والإبداع..

فنقد التاريخ القديم الذي أهمل بشكل لا فت، تأليفاً وتدريساً، تشكل وثائقه مجمل ما انتجه الإنسان في بقعة حضارية ما، بحيث لا يمكن كتابة تاريخ منذ آلاف السنين وأحياناً لحقب

وعصور لم يكن الإنسان قد عرف الكتابة أو مارسها، باستثناء تلك الرسوم التي يجدها الآثاريون على الصخور والكهوف.

ولذلك مجال النقد التاريخي مختلف تماماً عن مجال منهج البحث، بل أكاد أجزم أن الجهد المبذول من العالم والمتعلم، يتعدى الضعفين على أقل تقدير.

وباستثناء الفصل الخاص بنقد التاريخ القديم الذي أعده جهداً أصيلاً مبتكراً، فقد حرصت في هذا الكتاب -إلى جانب إسهاماتي الخاصة بحكم خبرتي البحثية وممارستي التعليمية- على إعادة تقديم أفكار وقواعد النقد التاريخي الموجودة في كتب عديدة، ولكن بصورة مبسطة تستخدم الأساليب الحديثة في تقديم المعلومة، وتعززها الملاحق التطبيقية والنماذج التي سبق للدارسين القيام بها؛ من أجل الجمع بين القواعد، والخبرات، والتطبيق؛ تحقيقاً للفائدة المرجوة، ووصولاً إلى هدف النقلة المنهجية الدقيقة لطلاب التاريخ في مرحلة الدراسات العليا، وللباحثين التاريخين، وللمشتغلين في التاريخ عموماً.

في الختام وحتى لا يلتبس على القارئ شيء يتعلق بمصطلحات النقد التاريخي، سواء الواردة في هذا الكتاب أو تلك التي نقراها في الكتب الأخرى، أورد إيضاحاً بذلك، وهذه المصطلحات عموماً وإن اختلفت ظاهرياً، إلا أنها تتفق في المعنى من حيث جوهرها:

Scanned by CamScanner

مصطلحات علماء الحديث	ما يقابله عند الأوروبيين
نقد الأصول	النقد الظاهري – النقد الخارجي – نقد التحصيل
نقد العدالة	نقد الأمانة – النقد الباطني الإيجابي
الجرح والتعديل – نقد الضبط	نقد الدقة – النقد الباطني السلبي – نقد المؤلف
نقد العدالة والضبط	النقد الباطني – نقد المضمون – النقد الداخلي – نقد المتن – نقد التفسير
نقد السند	نقد المصدر – النقد الخارجي – نقد التحصيل – نقد التصحيح

الدكتور عارف أحمد المخلافي
المدينة المنورة
١٤٣٥هـ الموافق لسنة ٢٠١٤م

الفصل الأول
صفات الناقد التاريخي

ملكة النقد تحتاج إلى مران متكرر حتى نألفها ونعتاد عليها...

Scanned by CamScanner

صفـــات الناقـــد التاريخـــي

لن يستطيع اي مؤرخ ان يصل إلى درجة الاقتدار في التعامل مع التاريخ ووثائقه ما لم يمارس النقد بقواعده العلمية؛ لأن الاكتفاء بالاعتماد على جهود الآخرين وتعاملهم مع الوثائق، لا تنمي القدرات ولا تصقل الكفاءات. **ومع ذلك قد يكون من بين المؤرخين من يمتلك المهارات الكافية للتعامل مع النصوص، سواء تعامل معها بنفسه منذ البداية أم اعتمد ما قام به غيره، شريطة أن تتوفر فيه الأمانة والصدق والحياد والموضوعية في تعامله مع النصوص التاريخية في إطار تخصصه الدقيق وحسب؛ حتى لا يقع في هفوات العمق البعيد والدقيق الذي لا يفهمه غير المتخصص. فنحن في الواقع لا نحتاج إلى إعادة تحقيق كل شيء، وإنما قد نحتاج أحياناً إلى إعادة النظر فيما ثبت ضعفه ونحتاج معلوماته، كلياً أو جزئياً.**

و في هذا الصدد قد يتساءل البعض، لماذا جمع المؤرخون القدماء كل أنواع المعرفة ؟ و الجواب أن الجمهور يوم ذاك لم يطالبهم بأكثر مما قاموا به، اما اليوم و مع انتشار العلوم والمعارف والتخصصات بحيث أصبحت المعلومة في متناول الجميع بكل يسر وسهولة، وصار المؤرخون –بسبب توسع حقل الدراسات التاريخية

Scanned by CamScanner

وشموليتها وتنوعها- يبحثون في التفاصيل اكثر من إعادة النظر في العموميات. ولذلك صارت المهمة شاقة وصعبة؛ لأنها قد تسيطر عليها الأهواء والميول، وما اكثرها في عالم اليوم، فهي لم تعد تعرف الحوار والتعايش، بل باتت تكشر عن انيابها وتظهر وجهها القبيح دون خوف أو خجل.

ووفقاً لذلك هناك معايير وشروط للمشتغل بالنقد التاريخي، قد تكون إما دافعاً له للاستمرار في النقد، او مانعاً له من ممارسته.

دوافع النقد وموانعه :

الدوافع:

- أن يكون محباً للنقد التاريخي، مستمتعاً به، ولديه هواية ممارسته.
- أن تكون لديه هواية حل الألغاز والشعور بلذة اكتشاف حلقاتها المفقودة.
- أن يكون صبوراً غير متعجل النتائج.
- أن يكون قادراً على ضبط خياله وتصوراته.
- أن يمتاز بهدوء الطبع والأناة.
- أن تكون شخصيته من النوع التي تمتاز بالحيطة والتحفظ.

- الا يتأثر بمحيطه الاجتماعي اليومي والحياتي عند تفسيره للأحداث.
- أن يكون محباً للتميز والتفرد بالنتائج الدقيقة.
- ان يمتاز بقوة الفطنة والانتباه.
- ان تكون إرادته قوية مستقلة.
- ان يميل إلى التأمل والتدبر.
- أن يكون ميالاً إلى حل المشاكل بكل صبر وثبات وإصرار.
- ان يحب الترتيب والنشاط والمثابرة.
- أن يكون منضبطاً في إصرار أحكامه.
- أن يكون مدركاً لخطأ التعامل مع الأشياء وفق تصور مسبق.

الموانـــــع:

- أن تكون دراسته للتاريخ عن اضطرار وليس عن رغبة.
- أن يكون لديه الاستعداد للقيام بالنقد عند الحاجة، لا مفضلاً إياه كسلوك غير منضبط.
- أن يكون من المسرفين في خيالاتهم إلى حد الوصول بها درجة الأسطرة و اللا منطق.
- المتعجلون دوماً.
- العصبيون.
- الذين ينفعلون بشدة.
- المولعون بالإبهار وإحداث الضجيج من حولهم.

Scanned by CamScanner

المخاطر التي يتعرض لها النقاد:

أهم هذه المخاطر ثلاثة وهي:

١- العجز:

يتولد العجز عند الناقد إذا شعر بالخوف من الخطأ أو احتمال حدوثه في عمله؛ لأنه يوقعه في حالة إحباط وتردد ووسوسة تجعله يبدو هزيلاً فيما يكتب ويناقش، بل قد يؤدي شعوره بالعجز إلى اليأس والتوقف عن البحث والنقد التاريخي عموماً.

٢- الإفراط في النقد:

إن الإفراط في الشك يؤدي إلى رؤية كل ما هو مكتوب كطلاسم وألغاز، فينسحب ذلك حتى على النصوص الواضحة، ويؤدي في المحصلة النهائية إلى الإفراط في النقد إلى درجة المبالغة وتفضيل ذات الناقد ورأيه على غيره، ومن ثم الشعور أن كل ما سبق لا قيمة له، حتى في نظرته لأعمال النقد المشهورة والمشهود لها بالدقة والمهارة.

٣- الهواية:

بعض النقاد يحرصون على تقديم المظهر الجيد لأسلوبهم في النقد أكثر من حرصهم على النقد ذاته، فيستخدمون التنظيم والعبارات الجذابة التي ترضيهم وتشبع ما يرغبون فيه. ولذلك نجدهم يصلون إلى حالة خطرة جداً، وهي إنهاء البحث قبل اكتماله؛ لأنهم لا يتوخون الدقة والكمال العلمي، بل يطمحون

إلى تقديم أعمال عديدة، فيتنطعون من عمل إلى آخر، وفي المحصلة النهائية يكون عملهم كغثاء السيل.

ومع ذلك فإن هؤلاء الذين يملكون الهواية في النقد، يصلون بأعمالهم إلى درجة لا تنافس ولا تضاهى، ولكن فقط يكون ذلك حين يمارسون النقد بأناة ووفق قواعده ومناهجه.

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني
البنية المعرفية للنقد التاريخي

حتى يكون الناقد رصيناً عليه أولاً أن يفهم الوثيقة
وما يرتبط بها ..

Scanned by CamScanner

أولاً

مفهوم الوثيقة التاريخية وما يرتبط بها

تعرف الوثيقة انها ذلك المستند الرسمي المصدق عليه. أما بالنسبة للتاريخ، فالوثيقة -براينا- هي ما دل على فعل الإنسان ونشاطه. وفي ضوء هذا التعريف، تكون الوثيقة عالم من المعارف، واكبر وعاء للفعل التاريخي للإنسان عبر العصور.

فمن الوثيقة نتعرف على حركة الإنسان وتصوراته، وفكره، ولغته، ومذاهبه، واعرافه، وبيئته ومحيطه، وعاداته وتقاليده، وسلامه، وحروبه، واستقراره، واضطراب أحواله، وزراعته، وصناعته، واسرته، ومشاكله، وقوته، وضعفه، وتقدمه، وتأخره، وتوحده، وتشرذمه.

ونعرف من الوثيقة كيف تطورت حياة الإنسان منذ بداية مسيرته الحياتية، وكيف عاش، وكيف اكتشف الزراعة، وكيف نشأت القرى والمدن والأقاليم والدولة والإمبراطورية، كيف بدأ الصراع والاستعمار، ولماذا، كيف ظهرت فكرة الوطن، وكيف ظهرت التجارة، وكيف صنع السفن والأدوات والأسلحة.

كما نعرف من الوثيقة كذلك، كيف ظهر المسكن، وكيف تطورت العمارة، وكيف ظهرت الفنون التشكيلية وحب التَجَمُل و الزخرفة، وكيف اخترع الإنسان الكتابة ثم انتج أدباً واساطير واشعاراً وفلسفات ... وغير ذلك.

Scanned by CamScanner

ولكن التعامل مع الوثائق يختلف باختلاف طبيعتها، فالوثيقة المكتوبة مختلفة لأنها تعطينا مادة مباشرة نتعامل معها بالاستقراء والفحص، ومن ثم الاستفادة مما قدمته بصورة عامة، سواء اكانت نقشاً على حجر أو برونز أو خشب او طين او بردي، ام كتاباً مخطوطاً، ام معاهدة، ام مرسوماً، ام عقد بيع وشراء او زواج.

كما ان هناك الوثيقة المرسومة التي هي عبارة عن لوحة فنية رُسمت او نُقشت على جدار كهف او على صخرة او على قصر او معبد، او انها لوحة فنية حديثة. فاللوحة الفنية عموماً تعرفنا على تطور تفكير الإنسان وذوقه وحرصه على تدوين تفاصيل حياته ومجتمعه ونشاطه.

وهناك نوع آخر من الوثائق، لا مكتوبة ولا مرسومة، لكنها تعد توثيقاً مادياً لإبداع الإنسان وتقدمه، تلك هي العمارة التي تعبر عن مهارات الإنسان وتقدمه الهندسي، وحرصه على الرقي بحياته، وتحقيق الأمان له و لأسرته،، او لجيشه ومقر حكومته، او مكان عبادته.

فكل فعل إنساني خلفه دافع وتصور يحكم أفعاله وممارساته و إنتاجه، ولذلك يكون اي اعمال للخيال في تفسير هذه الدوافع والتصورات مدعاة لإخراج التاريخ من كونه واقعاً إلى كونه قصة تحكى وحسب. والخيال الوحيد المشروع للمؤرخ، هو ذلك الذي يجتهد فيه لإعادة رسم الصورة التاريخية بناء على المعلومات التي بين يديه بعد فحصها والتمييز بين الأصيل والمزور، وبين الصادق

و الكاذب، وبين الأصل و المنسوخ، وبين صاحب الحق الفعلي، ومدعي هذا الحق، وبين حقيقة الإبداع و التطور، أو التطفل والتقليد.

وبدون معرفة وتطبيق قواعد النقد التاريخي و أساليبه، لا يمكن ان ننجح في كتابة التاريخ وإعادة بناء صورته الحقيقية، او الاقتراب من ذلك على الأقل.

اما إذا لم نقم بذلك، كيف لنا ان نتعرف علمياً على حقيقة غذاء الإنسان، و ملبسه، و مسكنه، و آلعبه، و طقوسه، و محاصيله الزراعية، و مناجمه، وصناعاته التعدينية، ووسائل الإدارة، والعلاقات الخارجية، والبناء المجتمعي، ونوع السلطة، ونظام الحكم، والموظفين و الهيئات، و الجيش، و التعليم، و القوانين، و الحرية، و الاستبداد، وطرق الزراعة، و أساليبها، ومظاهر العلوم و المعارف، و فوق كل ذلك: كيف سنعرف أسباب نشأة الدول والحضارات، وأسباب تطورها، وأسباب تدهورها او سقوطها.

و خلاصة كل ما تقدم، أن التاريخ هو الإنسان وفعله الحضاري. ولكي نفهم ذلك الإنسان وحقيقة ما صنع، لا ينبغي أن نكذب عليه، او ان ننسب إليه زوراً، او ان نقوّله ما لم يقل، بل علينا ان نكتب سيرته الذاتية كما قدمها لنا دون زيادة او نقصان، وهذا بطبيعة الحال لن يقوم إلا بمشقة وإخلاص عمل ورغبة أكيدة في البحث عن الحقيقة وإظهارها دون لي لعنق التاريخ او ابتسار لمعطياته الحضارية.

Scanned by CamScanner

فالتاريخ في الأصل يدرس نوعين من الوقائع، مادية وغير مادية:

فهناك الوقائع المادية المدركة بالحواس، كالأحوال اليومية المعاشة والفعل الحضاري للإنسان ونتائجه المحسوسة.

والوقائع غير المدركة بالحواس، وهي ذات طبيعة نفسانية، كالعواطف، و الأفكار، و الدوافع، و دراستها، وهي على قدر كبير من الأهمية لأنها تمثل المسار الذي يوجه سلوك الناس وفعلهم الحضاري، هذا الفعل الذي يفقد أحياناً وتطمس معالمه، وإذا ما حدث ذلك فإنه يعني ضياع قسم من التاريخ ومن ثم جهلنا به.

وما دامت هذه الوقائع تاريخاً، فهي تمثل الماضي. ولذلك لا يمكن التعرف عليها إلا من خلال دراسة الآثار المادية الباقية، او من خلال الآثار غير المادية المتمثلة بالسلوك الاجتماعي والعادات والتقاليد المتراكمة، أو من خلال أولئك الشهود المباشرين الذين عاصروا الحدث وكتبوا عنه، أو غير المباشرين الذين سمعوا او نقلوا أو رووا عن غيرهم. وبين المباشرين وغير المباشرين تكمن الحقيقة التاريخية التي لا نصل إليها إلا وفق قواعد صارمة يتضمنها ما يعرف بالنقد التاريخي.

إن كل فكرة تاريخية لا بد أن تبدأ من الوثيقة؛ لأنها الأثر المادي الوحيد والمباشر المعبر عن تطور حضارة الإنسان، ولذلك يجب قراءة مضمونها بدقة وأناة و روية، ثم تحليل ذلك المضمون وفق القواعد العلمية، بمعنى ممارسة النقد للوصول إلى الحقيقة.

مع العلم أن المؤرخ لا ينبغي أن يلتفت إلى كون وثيقة ما ذات قيمة من عدمه؛ لأن ما يحدد ذلك ليس الانطباع العام وإنما القيام بالنقد لمعرفة كون الوثيقة اصيلة أم منسوخة، ولا يمكن معرفة ذلك من خلال الشكل العام في حال الوثائق المكتوبة، وما يحدد ذلك هو فقط كل قول أو خبر وارد فيها؛ لأن هذا الخبر هو ما يحدد إذا كان صاحب الوثيقة شاهداً بنفسه أم ناقلاً عن غيره، وما إذا كان يمتاز بالأمانة والدقة أم لا.

وفي الحقيقة لا يمكن البدء بدراسة الوقائع الجزئية في الوثيقة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، دينية ...) وتحليلها دون أن يسبقها عملية فحص أصالة الوثيقة وأمانة صاحبها وفق عملية دقيقة ومتشابكة بحيث تقود كل واقعة إلى الواقعة الأخرى، فمثلاً:

لا يمكن أن نتحدث عن كيفية اكتشاف الإنسان للزراعة في العصر الحجري الحديث (حوالي القرن العاشر ق.م) دون الحديث أولاً عن مرحلة التنقل وعدم الاستقرار التي عاشها، وكذلك عن حال المناخ من سيول و أمطار، وهروبه من خطرها إلى الكهوف ثم العودة بعد انتهائها وملاحظته أن نباتات جديدة صغيرة ظهرت وربت، وكيف أدرك بعد ذلك أن تساقط البذور وطمرها بالتراب نتيجة الرياح والأمطار كان سبباً في ذلك الظهور وكيف أخذ يجرب ذلك بيده فحقق نجاحاً ترتب عليه الاستقرار حول الأراضي الزراعية وما تبعه من تطور حضاري مستمر حتى اليوم. ولا يمكن

Scanned by CamScanner

ان نتحدث عن تهدم سد مارب والقضاء على حضارة سبأ دون دراسة اسباب إهمال تنظيف السد من الطمي والأحجار والأخشاب والأتربة المتراكمة من السيول، أو من دون التعرف على أسباب الإعراض عن دين الله ومظاهر ذلك الإعراض.

كذلك لا يمكن أن نتحدث عن هزيمة المسلمين في غزوة احد دون الحديث اولاً عن موازين القوى بين الجانبين، وعن طبيعة المسرح الجغرافي الذي دارت فيه المعركة، وعن مخالفة قسم من المسلمين لتوجيهات القائد وتصرفهم بعيداً عن الخطة المرسومة، وكيف استغل عدوهم ذلك فألحق بهم الهزيمة. ولا يمكن أن نتحدث عن اكتشاف "كولومبس" أمريكا إلا ببيان خطئه في معرفة الأبعاد الحقيقية للأرض.

وهكذا بالنسبة لاحتلال فلسطين، والاستعمار الأوروبي للبلدان العربية، واحتلال أمريكا لكل من أفغانستان و العراق، وما جرى في الصومال من غياب للدولة، وما حدث في السودان من تقسيم للوطن، وكذلك الأمر بالنسبة لثورات الربيع العربي وتداعياتها المختلفة، والثورات المضادة لها وما نتج عنها ... وغير ذلك.

بمعنى أن فهم الوقائع التاريخية مرتبط بفهم إرهاصاتها ومؤثراتها الداخلية والخارجية بحياد تام، لا يختلط معه التاريخ بالعاطفة ولا تخلط النتائج بالتصورات المسبقة والتعصب لهذا الطرف أو ذاك.

وفي ختام هذا الفصل يجب أن نعرف اين توجد الوثيقة ؟،

توجد الوثائق المكتوبة (الآثار) في المواقع الأثرية والمتاحف. وتوجد الوثيقة المكتوبة في أمكان عديدة، حيث باتت الحكومات والمؤسسات العلمية والبحثية تهتم بالوثائق بشتى انواعها، ولذلك تحتفظ بها في المتاحف، ومراكز حفظ الوثائق، والأرشيف الرسمي للدولة، وكذلك توجد في المجموعات الخاصة بالأفراد والعائلات (وهذه غالباً تتعرض للتلف بسبب سوء الحفظ)، ومراكز الإحصاء الخاصة بالسكان والأحوال المدنية، والمحاكم الشرعية وغيرها. كما توجد في المراكز الوطنية للوثائق، ومراكز البحوث و الدراسات، وخاصة ما يتعلق بالأبحاث الميدانية البكر، وفي ارشيف المجالس النيابية و الاستشارية، والمنظمات الدولية ...

الأخطار التي تهدد الوثائق :

هناك العديد من الأخطار التي تهدد الوثائق وتكون السبب في فقدانها أو تلفها، ويتمثل ذلك في الآتي:

الإهمال، الحروب، الحرائق، الكوارث الطبيعية، الاحتلال، هواة جمع الوثائق، تجار الوثائق ...

Scanned by CamScanner

ومن المتفق عليه – كما سبق- أن كتابة التاريخ تتم بواسطة الوثائق، وأن الوثائق هي الآثار التي خلفتها الوقائع الماضية..

فكيف يكون ذلك ؟

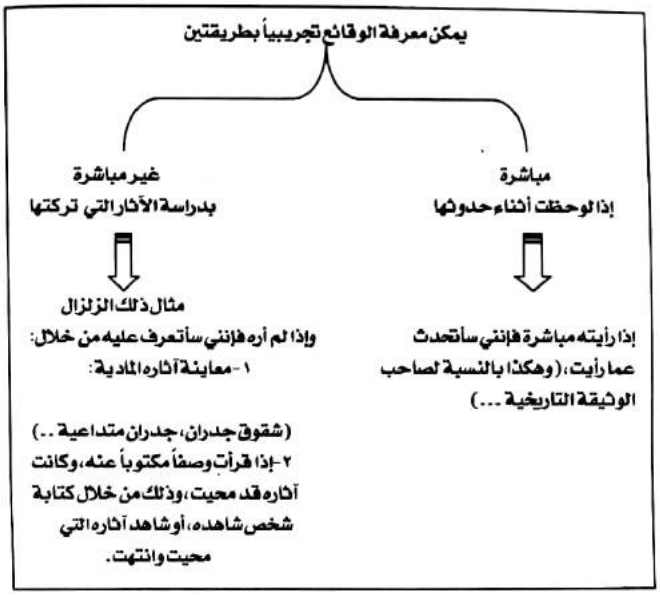
يمكن معرفة الوقائع تجريبياً بطريقتين
مباشرة
إذا لوحظت أثناء حدوثها
غير مباشرة
بدراسة الآثار التي تركتها
إذا رأيته مباشرة فإنني سأتحدث عما رأيت، (وهكذا بالنسبة لصاحب الوثيقة التاريخية ...)
مثال ذلك الزلزال
وإذا لم أره فإنني سأتعرف عليه من خلال:
١- معاينة آثاره المادية:
(شقوق جدران، جدران متداعية ..)
٢- إذا قرأت وصفاً مكتوباً عنه، وكانت آثاره قد محيت، وذلك من خلال كتابة شخص شاهده، أو شاهد آثاره التي محيت وانتهت.

وهذا يعني –في المحصلة العامة- أن الوقائع التاريخية لا تدرك مباشرة، بل وفقاً لآثارها. ولذلك تكون المعرفة التاريخية معرفة غير مباشرة، وهو ما يجعل منهج علم التاريخ يختلف عن مناهج العلوم التجريبية، ويتشابه فقط مع الجيولوجيا التي تعتمد على الملاحظة المباشرة.

مما تقدم يتضح أن المؤرخ يمكن أن يلاحظ آثار الواقعة التاريخية، ولكن ليس مباشرة، بل من خلال الوثيقة. وهنا تكون البداية ...

كيف ؟

يبدأ المؤرخ من الوثيقة معتمداً على الاستدلال من خلال محاولة استنتاج الوقائع والآثار الباقية، وتتضح هذه الصورة من خلال المعادلة الآتية:

الوثيقة ⇐ الاستدلال ⇒ الوصول إلى الواقعة الماضية

وبين نقطة البداية (الوثيقة) ونقطة الوصول (الواقعة الماضية) ينبغي المرور بسلسلة مركبة من الاستدلالات المرتبطة بعضها ببعض. ولذلك يجب توخي الدقة؛ لأن الخطأ يفسد النتائج إذا وجد في أي مرحلة كانت (البداية، أو الوسط، أو النهاية)

Scanned by CamScanner

منهج الاستدلال بالوثائق

يمكن التمييز بين نوعين من الوثائق

وثيقة تترك الواقعة أثراً مادياً (معمار، فن، كتابة).
وهذه عادة تكون سهلة؛ نظراً لوجود علاقة بين الأثر وأسبابه، ولكن قيمتها أكبر على صعيد الاستدلال.

وثيقة تترك الواقعة أثراً نفسياً (وصف، رواية مكتوبة). وهذه صعبة، لأنها تأخذ البعد الرمزي وليس الأثر المباشر على عقل من شاهدها. لذا قيمتها تكمن في الوصف وليس في حقيقته، أما الحقيقة فنصل إليها من خلال تطبيق منهج النقد التاريخي.

وبالتالي علينا أن نتساءل:

-ماذا أراد صاحب الوثيقة أن يقول؟

-هل كان يؤمن بما قال؟

-هل كان محقاً في الإيمان بما آمن به؟...

ثانياً

المنهج الإسلامي والمنهج الأوروبي في النقد

هل منهج علماء الحديث في الجرح والتعديل، هو نفسه النقد التاريخي؟

في الواقع اعتدنا كثيراً أن يأخذ الأوربيون علوم المسلمين، ثم يعيدون إنتاجها بقوالب جديدة وتسويقها على أنها ابتكار أوروبي في الأمانة والدقة والمنهج.

فقد شهد العالم بأسره بأن منهج المحدثين في التعامل مع رواية الأحاديث النبوية الشريفة أعظم ما تفردت به الحضارة الإسلامية وأفضل ما قدمه المسلمون للبشرية في مجال منهجي النقد والبحث، بل نجد من غير المسلمين من دعا إلى تطبيق منهج المحدثين مع الروايات التاريخية بسبب دقته وإتقان معانيه وتسلسل خطواته.

والذي يظهر كما سنلاحظ في فصول هذا الكتاب المختلفة، أن ما أسماه الأوروبيون بالنقد التاريخي، هو نفسه منهج أهل الحديث المعروف بـ "الجرح والتعديل"، لكنهم فقط قدموه بتفصيل واسع من حيث وضع تساؤلات كثيرة لكل خطوة من أجل الوصول إلى الحقيقة.

Scanned by CamScanner

ولكن الفرق بين منهج المحدثين وبين النقد التاريخي، هو ان الأول تعامل مع أقوال النبي الكريم ﷺ ؛ولذلك لم يتهاون اصحابه لا في صغيرة ولا في كبيرة، بل كان ذلك هو الدافع الأول لابتكار ذلك المنهج الناضج العتيد، فرفضوا كل ما حوله شك وجعلوا ما صح فقط هو ما ينسب باطمئنان للنبي ﷺ ، مع تسامحهم تجاه الأحاديث الضعيفة الرواية والسند، ولكن ليس في جانب التشريع، وإنما في جانب المصالح المرسلة وما ليس فيه ضرر في أمور الدين.

أما بالنسبة للنقد التاريخي، فصحيح أنه يستخدم القواعد والأساليب نفسها للوصول إلى الحقيقة، لكنه لا يرفض أقوال الرواة المشكوك في أمرهم بصورة كاملة، وإنما يستخدمها مع توضيح ضعفها، إلا إذا وجد نص سقيم لا مجال لفهمه أو التعامل معه.

وبتوضيح أكثر، مارس أهل الحديث ما عرف عند الأوروبيين بعد ذلك بـ "النقد الظاهري" أو الخارجي، وانتهجوا معايير دقيقة وواضحة لذلك، ومنها:

معايير الجرح:

أولاً- معايير العدالة:

١- السَفَه: ويعني كل فعل مشين أو استهزاء أو ممارسة أسلوب ممقوت.

٢- الكذب:

(أ): رواية الحدث دون معاصرة، وعبروا عنه بـ "الإرسال".

(ب): الرواية دون سماع، وقصدوا به "التدليس"، أي التزييف الذي يعد أخطر أنواع الكذب، لأن فيه إيهام.

٣- المجون والخلاعة.

٤- الأهواء والبدع.

ثانياً- معايير الضبط:

١- الغفلة: بمعنى قبول الراوي أي شيء دون فهم أو فطنة أو تحر أو نقد له.

٢- الشذوذ: أي مخالفة الراوي رواية الثقات.

٣- كثرة الغلط.

٤- الاختلاط والتغيير: أي عدم تركيز الراوي وذهاب عقله.

أما ما عبر عنه الأوروبيون بالنقد الباطني، أو النقد الداخلي أو نقد المضمون، فقد سبقهم المسلمون (أهل الحديث) بجملة طرق.

فالمنهج الذي اتبعه رواة الحديث والسيرة النبوية أطلقوا عليه "الجرح والتعديل"، أي الرفض والقبول، فميزوا بذلك بين الحديث الصحيح والموضوع، وابتكروا أساليب تقوم على أساس دراسة شخصية الرواة دراسة تفصيلية من حيث: سلامة البصر، والسمع، وصحة العقل، وأخلاقهم في معاملاتهم اليومية، وميولهم

Scanned by CamScanner

الفكرية والسياسية ومدى تحيزهم لمذهب ديني أو فرقة سياسية أو حاكم أو أمير.

وهذا التحري الدقيق قادهم إلى تجريح بعض الرواة، اي رفضهم؛ لشكهم في امانتهم العلمية، و "تعديل" بعضهم الآخر، اي قبولهم وقبول رواياتهم بعد تاكدهم من سلامة الأخلاق والحواس.

وقد تلقف الأوروبيون هذا المنهج الدقيق وأعادوا تقديمه باسم "النقد الباطني السلبي" أو "نقد المؤلف".

الفصل الثالث

نقد الأصول (النقد الظاهري)

يتضمن هذا الفصل دراسة أحوال الرواة وشخصياتهم، وعلاقتهم بالحدث، وقربهم الزمني والمكاني منه، وكذلك التحقق من صدق الوثيقة.

وينقسم إلى قسمين:

- **نقد التصحيح.**
- **نقد المصدر.**

Scanned by CamScanner

أولاً

نقـــد التصحيـــح

عادة ما نجد أخطاء في الكتب الحديثة، وهذه الأخطاء ليس بالضرورة ان تكون من المؤلف، ولكنها ناتجة عن عمل العديد من القائمين على الكتاب، كالمؤلف والطباع والمنسق ..

وإذا كان هذا هو الحال مع الكتب التي تطبع في الوقت الحاضر بأرقى الوسائل، كالكمبيوتر، فكيف سيكون الوضع مع الوثائق القديمة المعتمدة بالكامل على الكتابة باليد، بل ما يزيد الأمر خطورة ان كثيراً من الوثائق ليست نسخاً أصلية وإنما هي منسوخة عن الأصل أو نسخ عن نسخ.

وحتى لا نقع في وزر أن ننسب للمؤلف ما أخطأ فيه الناسخ وحرفه، علينا أن نفحص الوثيقة أولاً للتأكد من حالتها، وهذه هي العملية التي تعرف "بنقد التصحيح"، وهنا على الناقد أن يبدأ من خلال الأسئلة التالية:

- هل الوثيقة أصلية أم منقولة ؟.
- هل هي نسخ عن نسخ ؟.
- هل النُسّاخ من ذوي الضمائر الحية ؟.

Scanned by CamScanner

في بعض المخطوطات وبعد إجراء الفحص اللازم لها، يلاحظ ان الأخطاء تنقسم إلى أخطاء بسيطة وأخطاء تصل حد تحريف الكلام بصورة تختلف عما قصده المؤلف. وهذا الاختلاف تحدده عملية النقد وترصد مواضعه.

فما سبب هذه الاختلافات او ما يعرف "باختلافات النقل" ؟

هناك أحد سببين، إما الغلط أو التزييف. فإذا ثبت أن هناك تزييف في هذا النوع من الأخطاء، حينئذ يكون من الصعب جداً تصحيح النص او اكتشاف مواضع الخلل؛ لأنه يحدث فيه حذف مقصود وإضافة متعمدة ...، وهذا ما يطلق عليه **"فساد النصوص"** او **"المواضع السقيمة في الوثيقة"**؛ لأنها غالباً ما تكون غامضة وغير مفهومة.

فما هي الأخطاء التي يمكن ملاحظتها ؟ :

١- اختلاط المعاني والحروف والكلمات.

٢- نقل الكلمات والمقاطع والحروف من مواضعها.

٣- تكرار الحروف أو المقاطع والكلمات.

٤- الإفراد بدل الازدواج (أي المقاطع أو الكلمات التي كان يجب كتابتها مرتين لا تكتب إلا مرة واحدة). مثل: من من الناس ...

٥- سوء الفصل بين الكلمات.

٦- عدم ضبط ادوات الترقيم بين الفواصل والجمل.

طيب إذا وجدنا نسخاً عديدة مختلفة لوثيقة ضاع اصلها، ماذا نعمل ؟

اولاً: علينا القيام بمقارنة النُسخ المتعددة -إن وجدت- للحصول على نص يمكن أن يكون الأقرب إلى النص الأصلي، مع مراعاة أن الأقدمية في تلك النُسخ لا تمثل اي اهمية فهي اولاً واخيراً نسخة وليس أصلاً.

ثانياً: نقوم بترجيح الأغلبية المتوافقة في جميع نصوص الوثائق ونترك الشاذ منها.

مثلاً: إذا نسخة اتفقت مع أغلب النسخ، والكل ادعى انه نقل عن الأصل، ونسخة اتفقت مع نسختين أو نسخة واحدة فهذا لا يعني صحة الأغلب؛ لأن النسخة الأولى التي اعتمدنا عليها في المقارنة لا يوجد شاهد على صحتها ما دام الأصل مفقوداً !! **ومع ذلك، إذا اتفق الكل على الأغلاط** -مثلاً- فيمكن الترجيح أنهم جميعاً نقلوا عن الأصل. وفي كل الأحوال فإن العثور على عدة نسخ مستقلة عن أصل مفقود يعد أفضل من نسخة واحدة باعتبار المقارنة أساس الترجيح.

ولكن التعامل مع النسخ المتعددة دون خبرة في النقد يؤدي إلى تعميق الشكوك والابتعاد عن الحقيقة. وحتى إن توفرت الخبرة يبقى عملها محدوداً بسبب غياب الأصل، مع مراعاة عدم ترك هذه النسخ او إهمالها باعتبارها خيار بديل، ولكن بحذر شديد.

Scanned by CamScanner

ولأهمية هذه النقطة لا بد من التفصيل فيها أكثر:

قاعدة ١٠٠ - ١ :

لو ردد مائة من المؤلفين المختلفين ملاحظة ما، فإن هذه الوثائق المائة لا تمثل غير ملاحظة واحدة؛ لأن القول الذي يردد قولاً آخر لا يمثل ملاحظة جديدة. فكلما كانت نقاط الاتفاق أكثر دل ذلك على مجرد النقل وحسب.

ويرتبط بذلك حالات مهمة ينبغي مراعاتها:

الحالة الأولى:

اتفاق الوثائق المنسوخة:

الاتفاق بين الوثائق المنسوخة ليس بالضرورة أن يؤدي إلى نتيجة نهائية؛ لأن النقص قائم وبالتالي حتى وإن أيد بعضه بعضاً، إلا أنه قد تكون كل واقعة تاريخية حدثت بمعزل عن الأخرى.

الحالة الثانية:

تعدد الشهود للواقعة الواحدة:

قد نجد أحياناً ظروفاً متشابهة جعلت عدداً من الشهود (المؤلفين) للواقعة التاريخية الواحدة يدونون ملاحظاتهم عنها في وثائق مختلفة. وهنا تكون مهمة الناقد صعبة؛ لأن عليه التأكد من الآتي:

- هل يوجد شكل من أشكال الكذب ؟
- هل يوجد ما يشير إلى إيثار مصلحة شخصية، أو مصلحة جماعة، أو فكر، أو مذهب ؟

- هل يظهر ما يوحي بالغرور الشخصي ؟
- هل هناك تصورات وأحكام مسبقة لهذه الواقعة من أحد الشهود أو بعضهم ؟

ولذلك عندما يكون لدينا أقوالاً عديدة عن واقعة تاريخية واحدة، فهذا يدل على عدم التوازن، وبخاصة في حال تناقضها، وحتى إن وجد اتفاق بينها فإنه يدخل في باب الأقوال الوحيدة.

اما إذا كان التناقض حقيقياً، فمعنى هذا أن أحد القولين على الأقل كاذب، وبالتالي فإن التوفيق بينهما يخرج عن المنهج العلمي، ولا بد من إثبات صحة أحدهما.

وقاعدة ذلك:

إذا قال أحد (٢+٢=٤)، وقال آخر (٢+٢=٥) فلا ينبغي التوفيق بين الرأيين بالقول إن (٢+٢= ٤,٥)، بل ينبغي أن نفحص أيهما الأصوب. وهذه هي مهمة النقد التاريخي.

إذاً علينا أن نبحث أيهما الأصوب وليس أيهما يمثل الحقيقة؛ لأن النقد لا يبرهن على أي واقعة وإنما يقدم احتمالات، مثل: هو قول لا قيمة له، هو قول متهم قليلاً أو كثيراً، هو قول محتمل، هو قول محتمل جداً، هو قول مجهول القيمة، فالقول المشكوك فيه يمكن أن يكون صحيحاً، والقول المحتمل يمكن أن

Scanned by CamScanner

يكون كاذباً، ومن ثم فإن الوصول إلى نتيجة أو قرار لا يكون بغير القيام بالمقارنات مع ما هو معاصر للحدث.

الحالة الثالثة:

شهود كثيرون وكاتب واحد:

أن يتعدد الشهود للواقعة الواحدة أو الحدث الواحد، لكنهم كلفوا واحداً منهم بتحرير وثيقة وحيدة (مثل محاضر الاجتماعات)، وهنا لابد من التأكد من الآتي:

- هل الجميع راجع ما تم تحريره ؟
- هل الجميع أقر ما تم تحريره ثم التوقيع عليه؟
- هل اكتفوا بما قام به محرر الوثيقة دون مراجعة ؟

ولكن في حال اكتفاء الحاضرين بما حرره كاتب الوثيقة، فإنه يجب الوقوف على الآتي:

- هل أضاف المحرر أشياء لم يتفق عليها أو لم تقل؟
- هل حذف أشياء أخرى متفق عليها ؟
- هل حدث عنده خلط بين أكثر من موضوع بحيث غير قراراً من مكان إلى آخر؟.

وهنا لدينا قاعدة هي:

إن تقرير واقعة معينة بالاعتماد على قول شخص واحد مهما كان أميناً، يوجب على الناقد ذكر الخبر كما هو لا تأكيد الواقعة.

الحالة الرابعة:

تفرد وثيقة ما وعدم اتفاقها مع غيرها:

اما بالنسبة للحالة التي لم نجد بينها وبين الوثائق الأخرى اتفاق، فقد تكون هي الصحيحة، وبخاصة إذا توافقت مع الواقع الذي تشترك الوثائق في الحديث عنه.

Scanned by CamScanner

ثانياً

نقد المصـــدر (نقد السنـــد)

عندما نكون أمام وثيقة معينة ماذا علينا ان نعمل ؟

١- إما ان نقوم بنشرها كما هي دون زيادة او نقصان، مع ملاحظة انه قد يقع خطأ في النقل من الناشر.

٢- أو نستكشف أهميتها ونقوم بفحصها، ولذلك نتساءل:

- من أين أتت ؟
- من مؤلفها ؟
- ما تاريخها ؟
- ما مصدرها ؟

فإذا لم نستطع الإجابة على كل هذه التساؤلات فإن الوثيقة تكون عقيمة ولا تفيد المؤرخ في شيء.

و من الأمور المهمة التي علينا ان نتوقف عندها عند نقد الوثيقة هو موضوع **الحشو**.

الحشو: هو قيام الناسخ بإدخال عبارات وجمل عديدة بين السطور أو الهوامش. ومن اخطر أنواع الحشو، **الحشو المتعمد**، أي قيام الناسخ بإضافة أو استبدال عبارات كاملة للمؤلف على اعتبار انه اراد الإكمال أو التجميل أو التوكيد. ومما يزيد الأمر

سوءاً ان تكون النسخة الأصلية مفقودة، وفي هذه الحالة لا نستطيع التعرف على الحشو إلا إذا تغير السياق أو اختل الربط بين السابق والتالي.

كيف نعالج هذه المشكلة؟

(أ): إذا وجدنا نسخاً اخرى قبل الحشو، فإن الوصول إلى الحقيقة أيسر وأسهل.

(ب): اما إذا لم نجد أي نسخة اخرى فعلينا القيام بالنقد من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- هل أسلوب كل اجزاء الوثيقة واحد ؟
- هل هي مترابطة و تسودها الروح الواحدة من البداية إلى النهاية ؟
- هل يوجد تناقض أو انقطاع في تسلسل الأفكار ؟

أما إذا عجزنا عن فصل الأصل عن الحشو فعلينا الاعتراف أن الوثيقة ضعيفة.

(ج): علينا أن نضع أمامنا قاعدة مهمة هي:

القراءات الواحدة مصدرها واحد، والقراءات المختلفة لحادثة واحدة في نسخ مختلفة لأصل مفقود يجب الشك فيها والتوقف عندها طويلاً..

Scanned by CamScanner

(د): علينا ان نستحضر دائماً ان نقد المصدر يحمي المؤرخين من الوقوع في اغلاط مخيفة؛ **لأنه يعلمهم كيف لا يستخدمون وثائق سقيمة ...**

وفي ختام هذا الفصل:

هل هناك فرق في التعامل مع الوثيقة القديمة والوثيقة الجديدة؟

نعم هناك فرق؛ لأن الوثيقة الجديدة غالباً تكون مؤرخة وموقع عليها ومعروفة المصدر، ومعروفة المؤلف إذا كانت كتاباً. ولكن أحياناً نجد وثائق مهمة هي عبارة عن كتب أُلِّفَتْ بأسماء مستعارة، وفي هذه الحالة فإن الحكم عليها كالحكم على الوثائق القديمة في التحري والبحث والتدقيق.

وهناك وسيلة مهمة في نقد الوثائق الجديدة المجهولة، هي "المنهج" الذي يقوم على الآتي:

١- مقارنة مضمون الوثيقة مع ما هو منشور.

٢- مقارنة أسلوب المؤلف ولغته بأساليب ولغات أشخاص مفترضين.

٣- التركيز على شيوع استخدام مصطلحات وتعبيرات معينة بأساليب أشخاص مفترضين من حيث قلتها او كثرتها.

٤- محاولة الوصول إلى النسخة المكتوبة بخط اليد. وفي حال الوصول إليها نكون اجبنا على ٩٥ ٪ من التساؤلات.

٥- محاولة تخمين الشخص المفترض او الأشخاص المفترضين من خلال اشهر المرتبطين بالحدث الذي تدور حوله احداث الكتاب او الوثيقة، ثم نقراها بعمق. حينها سنجد الفرق بين من توحي كتاباته انه نقل الأخبار عن آخرين، وبين ذلك الذي يوحي النص بمشاركته في الحدث فعلاً.

٦- مقارنة اسلوب الكتابات والمقابلات السابقة للشخص او الأشخاص المفترضين بأسلوب الكتاب او الوثيقة التي بين أيدينا.

وهنا يمكن القول أننا إذا نجحنا في القيام بتحليل هذه الوثيقة المجهولة حسب القواعد والشروط والخطوات التي تعلمناها، فإننا نكون قد وصلنا إلى أفكار كافية تدل على المصدر.

وفي المحصلة النهائي لا بد من التقرير أن هناك فرق في التعامل مع الوثيقة القديمة والوثيقة الحديثة من حيث الوضوح أو التعقيد، لكنهما تشتركان جميعاً في المنهج. فتحري الدقة بفرض الوصول إلى الحقيقة أسلوب مشترك بينهما، ولكن قد تختلف الأدوات أحياناً.

Scanned by CamScanner

الفصل الرابع
نقد الأمانة والدقة
(النقد الباطني)

يتضمن هذا الفصل سر أعماق المؤلف وعمق عمله عن طرق التحقق من معنى الألفاظ ومن قصد المؤلف من خلال تحليل عمله لتمييز الصحيح من الخطأ.

وينقسم إلى قسمين هما:

- نقد الأمانة (النقد الباطني الإيجابي).
- نقد الدقة (النقد الباطني السلبي).

Scanned by CamScanner

أولاً

نقد الأمانة

(النقد الباطني الإيجابي)

إن غرض نقد الأمانة (النقد الباطني الإيجابي) هو: التحقق من معنى الألفاظ ومن قصد المؤلف بما كتبه، أي أن نميز في الوثيقة ما يمكن قبوله من عدمه. ولذلك علينا تحري:

(أ): ما اعتقده المؤلف فعلاً إذ يمكن الا يكون اميناً، وهنا علينا تفسير ظاهر النص وتحديد المعنى الحرفي له.

(ب): ما عرفه المؤلف فعلاً إذ يمكن أن يكون قد اخطأ، وهنا لا بد من إدراك المعنى الحقيقي للنص ومعرفة غرض المؤلف مما كتبه.

وحتى تتضح الصورة اكثر نتابع التفصيل الآتي:

يعد التحليل من أهم مقدمات وضرورات نقد الأمانة، وكل نقد يبدأ بتحليل عمل المؤلف لتمييز العمليات غير الصحيحة؛ لأن قبول النتائج لا يمكن أن يتوفر بدون القيام بهذه الخطوة.

ولكي يكون التحليل كاملاً من الناحية المنطقية ينبغي على الناقد أن يقوم بالآتي:

Scanned by CamScanner

١- إعادة القيام بكل العمليات التي لا بد أن يكون المؤلف قد أجراها، أي إعادة القيام بدوره في تتبع الحدث ووصفه وكأنك أنت الفاعل، مع ضرورة مراعاة عدم إسقاط الواقع الذي نعيشه على الواقع الذي عاش فيه المؤلف.

٢- للتأكد من سلامة منهج المؤلف، لا بد من القيام بفحص العمليات التي قام بها الواحدة تلو الأخرى.

ولكن هذه العملية قد تطول، ولذلك على الناقد أن يتبع منهجاً موجزاً يركز كل العمليات في طريقتين:

١- القيام بنقد الأمانة من خلال تحليل مضمون الوثيقة؛ للتأكد مما أراد المؤلف أن يقوله.

٢- تحليل كل الظروف الإيجابية والسلبية التي أُنتجت فيها الوثيقة، من خلال ممارسة نقد الدقة بغرض ضبط أو مراقبة أعمال المؤلف، مثل:

قربه من الحدث – بعده عنه – تعصبه للحدث – تعصبه ضده – تبعيته لطرف – معارضته له – تبنيه لفكرة أو مذهب – حياديته من كل ذلك...

محاذير استخدام هذا الأسلوب:

١- يشترط في من يقوم بهذا العمل أن يكون ناقداً محترفاً متمرساً غير متعصب ولا متأثر بأي مذهب أو فكر أو توجه، حتى لا يخرج عن الحياد المنهجي؛ لأن الناقد هنا لا يكتفي بمجرد إعادة

قراءة النص، بل عليه أن يتمثل ما كان في ذهن المؤلف. وهذه العملية تعد أصعب العمليات وأدقها.

٢- ضرورة التنبه لعادات المؤلف وتقاليده ولغته وفكره وأسلوب زمنه؛ لأنه لا يحق لنا فهم ما أراد صاحب الوثيقة أن يعبر عنه في ضوء عاداتنا وأفكارنا وتقاليدنا ولغتنا في زمننا نحن، وبخاصة حين يكون معنى النص غامضاً.

٣- التشديد على أمرين مهمين هما:

(أ): ضرورة تجرد الناقد من الانطباعات الشخصية عن المؤلف؛ لأنه بدون ذلك سيقدم لنا نتائج منحازة لطرف أو فكر.

(ب): ضرورة تجرد الناقد من الانطباعات الشخصية عن الوقائع التي تضمنتها الوثيقة؛ لأن المطلوب منه أن يقدم لنا رأياً متوازناً يمتاز بالحياد والموضوعية، وبدون ذلك سنجده يقدم نصاً خيالياً يضعه مكان النص الحقيقي الذي كتبه المؤلف.

إذن كيف يكون التعامل الإيجابي المطلوب مع هذا النوع من النقد؟

يكون ذلك بالآتي:

١- دراسة مضمون الوثيقة لتحديد فكرة المؤلف الحقيقية.

٢- إيضاح غرض المؤلف وكيفية تصوره للأمور.

Scanned by CamScanner

٣- التزام الموضوعية في عرض فكرة المؤلف بعباراتها الأصلية التي تميز أسلوبه وتوضح فكرته، ولا يجب ان يعيد صياغتها.

٤- عدم قيام الناقد بتجزئة وقائع الوثيقة إلى ما هو سياسي، أو اقتصادي، أو ديني، او عسكري، او اجتماعي، بغرض الفهم او التوظيف، إلا بعد القيام بتحليل كامل الوثيقة ككتلة واحدة وبكل صدق وامانة.

ويعد هذا الإجراء قاعدة رئيسة في النقد التاريخي؛ لأن التجزئة قبل الفهم يؤدي إلى قلب المعنى الحقيقي، وتداخل حقائقه، واختلاط تصوراته، وهو ما يعني تغيير بنية النص الفعلي، وهذا من محظورات النقد التاريخي.

وعلى أي حال لا بد ان يمر النقد الباطني الإيجابي بمرحلتين مهمتين هما:

المعنى الحرفي ، والمعنى الحقيقي.

فما الفرق بينهما ؟

وهل يرتبط كل منهما بالآخر في المحصلة النهائية أم لا ؟

ويجب مراعاة ان عدم ملاحظة وتحري الفوارق اللغوية واللهجية؛ توصل المؤرخ إلى فهوم ناقصة وحقائق غير مدركة سلفاً، كما يتضح من الآتي:

المعنى الحرفي :

يتعلق المعنى الحرفي بعلم اللغة ولذلك يجب استخدامه مع الحذر من القيام بالتفسير اللغوي للكلمات بمعزل عن التفسير التاريخي القائم على كل حالة على حدة، ومنهج النقد في ذلك يتمثل بالآتي:

١- عدم تفسير الكلمات القديمة بمعناها الحديث؛ لأن المدلول قد يتغير او يختلف.

٢- مراعاة اختلاف مدلولات الألفاظ في اللهجات المختلفة.

٣- إذا استخدم المؤلف لغة ميتة غير مستخدمة في عصره، فهذا يعني انه نقلها من كتب قديمة.

٤- ضرورة تفسير كل كلمة او جملة بحسب سياقها في النص وليس بشكل منفرد.

٥- يجب التركيز فقط على المعاني المتغيرة، اما المشتركة بين جميع المؤلفين فلا يتغير معناها؛ فالتفسير الخاطئ للفظ يقود إلى نتيجة خاطئة.

٦- قد يستخدم المؤلف عبارات ملتوية كالاستعارة والمبالغة والتلميح، وهنا لا بد ان نعرف المعنى الحقيقي الذي اخفاه المؤلف عن قصد تحت تعبير غير مطابق.

وهذا غالبا يوجد عند الراغبين في إخفاء مذاهبهم وأفكارهم لغرض ما، ويتضح ذلك من خلال لا معقولية المعنى او اضطرابه

Scanned by CamScanner

أو غموضه، أو انه مناف لأفكار المؤلف أو للوقائع التي عرفها. عندئذ لا بد من مقارنة المواضع والألفاظ لمعرفة موضع الالتواء.

المعنى الحقيقي :

الوصول إلى المعنى الحقيقي يعني اننا وصلنا إلى معرفة تصورات المؤلف والصور التي كونها في ذهنه. ولذلك يجب ان يكون الناقد ملماً بمعرفة عامة حول:

الفنون التشكيلية– الأداب– المعتقدات الدينية - والفلسفية - والأخلاقية - تاريخ القانون– تاريخ النظم الرسمية - الأساطير والتقاليد الشعبية (الفولكلور).

ثانياً

نقد الدقة (النقد الباطني السلبي)

إذا كان **نقد الأمانة (النقد الباطني الإيجابي)** يعرفنا على افكار المؤلف ولا يعطينا شيئاً عن الوقائع الخارجية حتى ولو كان قد شاهدها، فإن **نقد الدقة (النقد الباطني السلبي)** يعرفنا على حقيقة ما كتب؛ لأن ما يعبر عنه المؤلف ليس بالضرورة ما كان يعتقده، فلعله كذب، وما اعتقده ليس بالضرورة انه ما حدث فعلاً، فلعله اخطأ.

بطبيعة الحال ومن الناحية المنهجية، فإننا عندما نتعامل مع الوثيقة لا بد أن نفترض في مؤلفها حسن النية، وأن كل ما جاء فيها صحيح، فالشك عموماً مصدره تلك الوثائق السقيمة المليئة بالأخطاء. وبناءً على ذلك لا بد من القيام بالنقد لغرض الوصول إلى الحقيقة، وحتى لا ينتقل الخطأ عبر الأفراد والأجيال والحضارات.

ولأنه لا بد أن توجد بين أقوال المؤلف وبين الحقيقة مسافة قابلة للفحص، فإن على الناقد أن يقسم المؤلفين إلى قسمين:

(أ): المؤلفين الجديرين بالثقة، أو الوثائق الجيدة ذات المصداقية.

(ب): المؤلفين المشكوك في امر مصداقيتهم، أو الوثائق السقيمة، كثيرة الأخطاء والشبهات.

Scanned by CamScanner

ومن ثم علينا ان نطبق على المؤلفين الإجراءات القضائية باعتبارهم شهود على عصرهم:

(أ): شهود عدول.

(ب): شهود زور.

وسبب ذلك اننا إذا لم نُعمل الشك، فإن الاعتقاد بوجود الحقيقة في الوثيقة ستجعل المؤرخ يقبل المضمون كما هو، بل ويدافع عنه سواء اكان حقاً ام باطلاً.

إذن كيف نقاوم هذه النوازع الغريزية في الشك والتصديق بطريقة منهجية؟

علينا اولاً ان نؤمن بأن الخطأ وارد، وهذا سيقود إلى خطوة مهمة، وهي الإقرار بأن فحص الوثيقة -في جملتها- لا يكفي، بل ينبغي القيام بالمرحلة التالية لذلك وهي فحص كل قول وارد فيها، فالنقد لا يمكن أن يتم بدون تحليل كما ذكرنا سابقاً.

ولذلك نجد أن التعامل مع نقد الدقة يقوم على أمرين لكل منهما قاعدة:

الأول: الحقيقة العلمية لا تتقرر بمجرد الشهادة، ولذا لابد من البحث عن الأسباب التي تثبت أنها صحيحة:

القاعدة: أن نفحص كل قول للتأكد من أنه من النوع الذي ينطوي على سبب كافٍ لتصديقه.

الثاني: نقد الوثيقة لا يمكن أن يتم جملة.

القاعدة: ضرورة تحليل الوثيقة إلى عناصرها لاستخلاص كل الأقوال المستقلة التي تتألف منها وفحص كل حالة على حدة.

مثال: عقد البيع يجب ان نميز فيه الآتي:

التاريخ - المكان - البائع - المشتري - السلعة - الثمن - وكل شرط من شروط العقد.

وهذا يقودنا إلى أمر مهم وهو:

إذا كان لدينا قول صادر عن رجل لم نره يعمل، ولا نعرف الطريقة التي عمل بها، **فكيف نعرف ان ما قام به صحيح ؟**

الجواب: علينا ان نسأل: **هل كان عمل المؤلف صحيحاً أم لا ؟**

ولمعرفة ذلك يجب القيام بالآتي:

(أ): دراسة شخصية المؤلف.

(ب): نقد الأقوال الجزئية من خلال دراسة الظروف الكلية لتأليف الوثيقة، مثل الظروف النفسية، والظروف المحيطة بالمؤلف اثناء التأليف.

وهنا يجب أن تقوم قاعدة الفحص على ميزان منهجي غاية في الدقة يقوم على الآتي:

(أ): ما اعتقده المؤلف فعلاً: فقد يكون أميناً.

(ب): ما عرفه فعلاً: إذ يمكن ان يكون قد اخطأ.

Scanned by CamScanner

وهنا وجب علينا التمييز بين نقد الأمانة (النقد الباطني الإيجابي)، ونقد الدقة (النقد الباطني السلبي).

فنقد الأمانة، هو معرفة ما إذا كان مؤلف الوثيقة لم يكذب.

ونقد الدقة، ما إذا كان لم يُخطئ.

وهنا لا بد أن نعرف أن نقد الدقة (النقد الباطني السلبي) يتم وفقاً لعمليتين منهجيتين من التساؤلات:

العملية الأولى:

تختص هذه العملية بمعرفة ما إذا كان ثمة دافع للارتياب في أمانة القول. ولذا نسأل:

- هل كان المؤلف في ظروف تجعلنا نميل إلى عدم الأمانة ؟ .
- ما هي هذه الظروف في عموم الوثيقة وفي جزئياتها ؟

وهنا يجب أن نسأل سؤالاً يدخل في مقاصد المؤلف وعقله:

- هل المؤلف قصد الكذب لإحداث تأثير خاص في قارئه ؟

هناك أحوال خاصة لمعرفة جواب هذا السؤال، وهذه الأحوال هي:

الحالة الأولى:

١- محاولة المؤلف أن يجلب لنفسه منفعة عملية.

٢- أن يقصد دفع القارئ للقيام بعمل، أو صرفه عنه من خلال تقديم معلومات كاذبة.

وهنا لابد أن نتساءل عن مصلحة المؤلف من الكذب:

- هل كانت مصلحة شخصية ؟ (للوصول الى منصب او مكانة)
- أم كانت مصلحة جماعية ؟ (كأن يكون عضو في: اسرة، قبيلة، إقليم، وطن، فرقة دينية، حزب سياسي، فئة اجتماعية). وهنا لا بد من تمييز الجماعة التي يتشيع إليها، فقد تكون مصالح تلك الجماعات متعارضة.

الحالة الثانية:

- أن يكون المؤلف في موقف ارغمه على الكذب.
- أن يتعمد احياناً الكذب في اشياء بسيطة، مثل اليوم، الساعة، المكان، عدد الحاضرين وأسمائهم، وهذه الأشياء يمارسها الناس في حياتهم الطبيعية، فما الذي يمنع أن تكون حاضرة في عمل صاحب الوثيقة. (وهذا ينطبق ايضاً على وثائق المحاضر الرسمية التي يكتبها أمناء المجالس في الدوائر الرسمية وغير الرسمية)

والمهم في التعامل مع هذه الحالة هو أننا:

لا يمكن أن نضع كلمة (صحيح) على فرض صحة الوقائع، مرادفة لكلمة (دقيق) على فرض صواب كل جزئياتها؛ لأن الكذب هنا ليس في أساس الوقائع وإنما في الظروف الجانبية. فهناك فرق بين الصحة والدقة.

مثال:

Scanned by CamScanner

هناك فرق بين ان نقول: ولد النبي محمد ﷺ في عام الفيل، وكان له مرضعة، ونشأ يتيماً. **فهذه معلومات كلها صحيحة.**

وحتى تكون هذه المعلومات دقيقة لا بد ان نقول:

ولد النبي محمد ﷺ في عام الفيل الذي يرجح انه يوافق سنة ٥٧١ م، وان امه آمنة بنت وهب سلمته إلى حليمة السعدية لتكون مرضعته على عادة اهل ذلك الزمان. وقد نشأ ﷺ يتيماً، فوالده عبد الله بن عبد المطلب توفي عام ٥٧١م وهو في بطن امه في شهره الثاني، وامه آمنة توفيت سنة ٥٧٧م وعمره ستة اعوام، وجده عبد المطلب توفي سنة ٥٧٨م وعمره ثمان سنين.

الحالة الثالثة:

أن يكون المؤلف يستشعر عطفاً او كراهية لجماعة من الناس: (أمة، حزب، فرقة، إقليم، مدينة، اسرة)، او لمجموع من المذاهب او المؤسسات (دين، فلسفة، فرقة سياسية).

الحالة الرابعة:

أن يدفع الغرور الفردي المؤلف للكذب بغية تمجيد ذاته، او يدفعه غروره الجماعي للكذب تمجيداً للجماعة التي ينتمي إليها.

وفي كل الأحوال تكون غاية الكذب التأثير على القارئ عن طريق الإيحاء بسمو شخصه وتفرده، او بعظم جماعته وافضليتها على الجماعات الأخرى.

الحالة الخامسة:

ان يكون المؤلف قد اراد تملق الجمهور او على الأقل اراد ان يتجنب ردة فعله، فيتعمد التعبير عن العواطف والأفكار المتفقة مع ثقافة جمهوره واخلاقه، او مع البدع السائدة عندهم، وحتى لو كان ذلك مخالف لثقافته وافكاره، فإنه يسعى إلى تشويه الوقائع من اجل إرضاء جمهوره وحسب. وهذا النوع من الكذب يغلب عليه الطابع الرسمي والمجاملات، كما هو عليه اليوم.

ولمعرفة ذلك على وجه الدقة، لابد اولاً ان نصل إلى:

١- معرفة نوع الجمهور الذي يخاطبه المؤلف .

٢- معرفة نوع الثقافة والأخلاق والآداب التي يدين بها الجمهور.

الحالة السادسة:

ان يكون المؤلف قد حاول تملق الجمهور - بشكل يختلف عما جاء في الحالة الخامسة- بحيل ادبية، فشوه الوقائع بجعلها تبدو جميلة بحسب تصوره للجمال، بمعنى السعي إلى جعل الشيء اكبر من حقيقته في الواقع، وهذا أكبر انواع التشويه؛ لأنه لا يقف عند تشويه الواقعة، وإنماء يحرف مسارها ويقلب واقعها إلى شيء مختلف.

قاعدة:

يجب أن نرتاب من أي قول يكون أكثر تشويقاً من الناحية الفنية.

Scanned by CamScanner

العملية الثانية:

يستعان بتساؤلات هذه العملية في حال شعر المؤرخ بارتياب او شك في دقة القول، وقفز إلى ذهنه السؤال التالي:

هل كان المؤرخ في ظروف ساقته إلى الخطا ؟

وهناك عدة حالات لفهم دوافع الخطا:

الحالة الأولى:

- قد يكون المؤلف (صاحب الوثيقة) في موضع يسمح له بملاحظة الواقعة، او انه خيل إليه أنه لاحظها فعلاً، او انه عبر عنها وفق تصور مسبق يسيطر عليه.

الحالة الثانية:

أن يكون المؤلف في موضع لا يسمح له بالملاحظة، كان يدعي شخص رواية المداولات السرية التي جرت في مكان هو موظف فيه. فنتساءل:

- هل اضطر إلى هذا الفعل لسبب ما ؟
- هل اهمل لأن الوقائع التي شاهدها لم تكن تهمه ؟
- هل افتقر إلى خبرة خاصة او إدراك عام لفهم الوقائع ؟
- هل أساء تحليل انطباعاته وخلط بين وقائع متمايزة ؟
- متى سجل ما رأى أو سمع ؟ . وهذا مهم جداً؛ لأن الاكتفاء بالاعتماد على الذاكرة فقط معرض لاختلاط الحدث

بذكريات اخرى. والدليل على ذلك أن المذكرات التي كتبت بعد حدوث الواقعة بسنوات، او ظهرت بعد وفاة صاحبها، قد ادخلت في التاريخ الكثير من الأخطاء الفادحة، وهنا لا بد من اعتبار المذكرات -في الغالب- وثائق من الدرجة الثانية؛ لأن عامل الشك والرّيبة جائز معها.

الحالة الثالثة:

ان يؤكد المؤلف وقائع كان في استطاعته ان يلاحظها، لكنه لم يكلف نفسه عناء مشاهدتها، فتخيل وخمن معلومات كاذبة وزائفة.

الحالة الرابعة:

- ان تكون الواقعة المروية من نوع الروايات التي لا يمكن ان تعرف بالملاحظة وحدها، مثل أسرار الحياة الزوجية.
- او تكون فعلاً مشتركاً من قبل جيش بأسره، فلا يستطيع تحديد الأبطال والوقائع بصورة منفردة، حتى وإن كان الراوي أحد القادة الميدانيين يجب اعتبار رواياته من الدرجة الثانية؛ لأننا لا ندري، هل اعتمد على ملاحظاته وحسب، أم خلطها بروايات الضباط والأفراد ؟

Scanned by CamScanner

وتدخل الأسطورة ضمن هذا النوع من الوثائق، فهي رواية مجهول صاحبها، ومع ذلك تعد مادة ادبية لا بد من التعامل معها.

فكيف نحلل الأسطورة إذاً ؟

ليس امامنا من سبيل لذلك سوى اللجوء إلى تجزئة وقائع الأسطورة وفرزها، ومن ثم تمييز ما هو خارق للعادة، او مستحيل، او متناقض، او غير معقول، واخراج ما يقبله العقل باعتباره مادة تاريخية. وقد تكون هذه المادة هي الأصل الواقعي فيها، وغير ذلك بشكل إضافات عابرة للزمان حولتها من طبيعتها الواقعية إلى صورتها الأسطورية.

اما بالنسبة للأعمال الفنية والأدبية الأخرى كالقصة، والرسوم، فكل تصور مُعبر عنه إما مكتوباً او بشكل لوحة تشكيلية، هو واقعة مؤكدة، وطالما ان هناك تصور لشيء ما، فهذا يعني أن هذا المؤلف او ذاك قد أدرك تلك الواقعة، وبالتالي فإن البرهنة على وجود هذا التصور يمكن ان تكون فقط بحالة واحدة ووثيقة واحدة؛ لأن ذلك التصور يعطينا مادة علمية ومعلومات غير مباشرة عن طبيعة العصر الذي أنتجت فيه الوثيقة.

- او تكون الرواية عرفاً مشتركاً في شعب باسره، حينئذ لا يمكن نسبته لجماعة بعينها، إلا إذا وجدت وثائق تحدد ذلك بوضوح ودون شك في امرها[1].

وهنا نسأل:

- هل عمل المؤلف وفقاً لمعطيات غير كافية؟
- هل عمل في هذه المعطيات عملاً غير صحيح ؟

ولكن السؤال الآن:

إذا وجدنا مؤلفاً (وثيقة) صاحبه مجهول، كيف نتعامل معه نقدياً ؟.

في الحقيقة إذا كان المؤلف مجهولاً، فقد انتهى عمل النقد، وما علينا سوى فحص الظروف العامة للوثيقة، من حيث الأصالة، وتوافق الحدث مع الواقع، وسلامة تقديم مادته وحقيقتها...

١- مثلاً في اليمن توجد قواعد عرفية قبلية مكتوبة تحدد طبيعة المعاملات القبلية و أعرافها، وعلى الرغم من أنها تنسب -تخميناً- لشخص او جماعة، وترتبط بقبيلة معينة، إلا أنها شائعة في مناطق شاسعة من اليمن، وبالتالي ارتبطت بمن قام بتحويلها من ثقافة وسلوك متوارث إلى قواعد مكتوبة، وهنا تبرز مشكلة تخصيص منبعها او تعميم ممارستها ؟. (عن هذه القواعد انظر، المخلافي عارف أحمد إسماعيل، دليل المصطلحات العرفية المستخدمة في التعامل مع النزاعات المحلية، بحث ميداني مرجعي، مديرية برط المراشي محافظة الجوف ومديرية منبه محافظة صعدة، صنعاء ٢٠٠٨ م.

Scanned by CamScanner

و في حال الشعر مثلاً، فإن وصف الوقائع المادية قد يكون من بناة افكار الشاعر وإبداع خياله. فمثلاً عندما يتحدث الشاعر عن ابواب من ذهب او دروع من فضة، فليس من المؤكد حقيقة ذلك، ولعل الحقيقة تتمثل بوجود ابواب، ودروع، وذهب، وفضة.

ومع ذلك تبقى الأعمال الأدبية والفنية مصدراً مهماً للتاريخ، وبخاصة تاريخ وحضارة العصور القديمة. كما يستفيد منها التاريخ والحضارة الإسلامية، ويستفيد تاريخ العصور الوسطى الأوروبية من الأعمال الفنية والأدبية والشعر.

تقدير الواقعة و الوصول إلى حقيقتها:

كيف يمكن التعرف على الواقعة التاريخية، وما هي سبل كشف حقيقتها؟

هناك ثلاث حالات يمكن التعرف من خلالها على ذلك، وهي:

الحالة الاولى:

أن تكون الواقعة المذكورة في الوثيقة من شانها ان تجعل الكذب غير محتمل، ولذلك نسأل:

أولاً:

- هل القول يؤدي إلى عكس الأثر الذي اراد المؤلف إحداثه ؟

- هل هو مضاد للمصلحة، او الفرد، او العواطف، او الذوق الأدبي لدى المؤلف، او الجماعة التي ينتمي إليها، او إلى الراي الذي سعى لبثه ؟

ثانياً:

هل الواقعة المذكورة كانت معروفة جيداً للجمهور إلى درجة انه حتى لو حاول المؤلف الكذب لمنعه من ذلك اليقين بان كذبه سيفتضح ؟ وهذه من السهل تحقيقها.

ثالثاً:

هل الواقعة المذكورة مما لا يكترث له المؤلف بحيث لم يكن لديه ادنى داع لتحريفها ؟، وهذا ينطبق على حالة الوقائع العامة (العرف، المؤسسات، الموضوعات، الأشخاص).

مع ملاحظة ان هذا المعيار لا يطبق إلا في حالة معرفتنا الدقيقة بطبيعة الأثر الذي اعتقد المؤلف انه قادر على أن يحدثه، وكذلك طبيعة الجماعة التي ينتمي إليها. وقد سبق أن بينا ذلك في نقد الأمانة (النقد الباطني الإيجابي).

الحالة الثانية:

ان تكون الواقعة من شانها ان تجعل الخطأ امراً غير محتمل. وهنا نسأل:

- هل كان من السهل مشاهدة الواقعة ؟
- هل بقيت الواقعة مدة طويلة بحيث امكن المؤلف ان يراها مراراً، كالآثار التاريخية، والأعراف ؟.

Scanned by CamScanner

- هل كانت الواقعة واسعة الانتشار جداً بحيث راها كثير من الناس كالحروب، والمعارك، والعادات، والأعراف الشائعة بين شعب من الشعوب ؟.
- هل عبر المؤلف عن الواقعة بعبارات عامة، بحيث تكفي الملاحظة السطحية لإدراكها، كوجود إنسان، او مدينة، او شعب، أو عرف ؟.

الحالة الثالثة:

ان تكون الواقعة من النوع الذي لا يمكن تأكيده إلا إذا كانت صحيحة. وهنا نسأل:

- هل الواقعة المذكورة تتناقض مع الأفكار الأخرى التي تملأ ذهن المؤلف ؟
- هل هي ظاهرة من نوع مجهول للمؤلف، أو فعل او عرف يبدو له غير مفهوم؟
- هل هي مما يتجاوز عقل المؤلف، مثل ما يأتي به الأنبياء كوحي من عند الله ؟.

ولكن قد نواجه أحياناً نصاً ذا تفسير متنازع عليه، وحينئذ فإن فحصنا لذلك النص يقوم على فعلين:

الفعل الأول: يتلخص في قراءة النص لتحديد معناه قبل السعي لاستخراج أية معلومات منه.

الفعل الثاني: القيام بالدراسات النقدية للوقائع المتضمنة في الوثيقة.

الفصل الخامس
نقد التاريخ القديم

كل ما كتب عن نقد التاريخ القديم كان على استحياء وعلى هيئة مثال هنا أو توضيح هناك لأنه ببساطة لم يهتم به أحد.

فالنقد كتب إما من متخصصين في التاريخ الحديث أو الإسلامي أو الأوروبي أو حتى الأدب ولم يكتبه أحد من مؤرخي التاريخ القديم ...

Scanned by CamScanner

نقد التاريخ القديم

بداية أود التنويه إلى أنني بصدد استكمال كتاب آخر موثق، خاص بنقد التاريخ القديم وأن هذا الفصل يعبر عن مضمونه، وهو موضوع أصيل لم يخض فيه أحد لا في بحث مستقل ولا في فصل ضمن كتاب، وكل ما كتب عنه كان على استحياء وعلى هيئة مثال هنا أو توضيح هناك؛ لأنه ببساطة لم يهتم به أحد باعتبار أن كتب مناهج البحث أو ما كتب عن النقد التاريخي تعالج القواعد العامة للنقد التي تنطبق على المخطوطات والوثائق التي تخص التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث. ومن جانب آخر عادة ما يقوم بكتابتها متخصصون إما في التاريخ الإسلامي أو في التاريخ الحديث، وبخاصة أن موضوع النقد والتحقيق التاريخي يُدَرّس لطلابهم في الدراسات العليا تحديداً بينما يُهمل مع طلاب التاريخ القديم. وهذا -برأينا- أمر طبيعي لأن تناول نقد التاريخ القديم له خصوصية لا يفهمها إلا المختص بهذا الفرع من التاريخ. ولذلك نجد أداء المتخصصين في التاريخ القديم يدخل ضمن المهارات المكتسبة وليس ضمن القواعد المنهجية للنقد التاريخي، وهنا تكمن أهمية ما سنكتبه عن نقد التاريخ القديم بما يتفق مع القواعد التي مرت بنا في الفصول السابقة.

Scanned by CamScanner

فالتاريخ القديم ليس كباقي فروع التاريخ، فهو بقدر ما يأكل بعضه البعض، فإنه يكشف عن بعضه البعض كذلك.

فالتاريخ القديم يأكل نفسه؛ لأن العديد من احداثه ومظاهره الحضارية تموت وتنته بسبب تدمير مدن بكاملها او تدمير ارشيف ملكي برمته، او تدمير دولة بكل تفاصيلها وإنهائها من التاريخ، او تغييب دولة اخرى.

فمن حيث ان التاريخ القديم يأكل بعضه البعض لدينا امثلة كثيرة، منها:

اقدم الملك الأشوري سنحريب في القرن السابع ق.م على تدمير بابل انتقاماً من ثوراتها المتكررة ضد آشور، ولم يكتف بذلك، بل سلط عليها مياه الفرات لتجرفها، حتى رأى ملك دلمون (البحرين) غبارها في البحر، كما ذكر في نص له، لكنها بنيت من جديد بعد ذلك في عهد ابنه أسرحدون كما نعرف.

اما مدينة "أكادة" عاصمة المملكة الأكدية في العراق التي اسسها الملك الأكدي سرجون الأول في النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، فقد دمرت نهائياً في اواخر الألف الثالث ق.م على ايدي الجوتيين الأجانب الذين غزوا العراق بعد ضعف الدولة الأكدية، ووصل الأمر لدرجة اننا لا نعرف موقعها على وجه اليقين حتى يومنا هذا.

وكذلك الحال بالنسبة لعاصمة الهكسوس في دلتا مصر المعروفة باسم "حت وعرت" او "اواريس"، دمرت تماماً على يد الملك المصري احمس الأول في القرن السادس عشر ق.م الذي استكمل ثورة المصريين ضد الهكسوس وطاردهم حتى تشتتوا في بلاد الشام. وما يقال عن موقعها مجرد تكهنات وفروض.

اما إذا ذهبنا إلى النصوص المكتوبة سنجد ان الممالك السورية القديمة شهدت دماراً واسعاً لسجلاتها التاريخية، فقد تم تدمير بعض ارشيف مملكة إبلا الملكي علي يد الملك الأكدي نرام سين في الربع الأخير من الألف الثاني ق.م. كما تم تدمير بعض ارشيف مملكة ماري الملكي بسورية على يد الملك البابلي حمورابي في القرن الثامن عشر ق.م. وكذلك الحال بالنسبة لممالك أو جاريت، وقطنة، ويمحاض، والالاخ في سورية التي دُمرت اجزاء من ارشيفاتها الملكية على أيدي شعوب البحر في القرن الثاني عشر ق.م.

اما بالنسبة للدول، فهناك العديد من الممالك القديمة دمرت نهائياً. ففي عام ٢٢٥٠ قبل الميلاد دمر الملك الأكدي نرام سين مملكة إبلا نهائياً لدرجة انه لم يعرف لها أثر حتى اكتشفت من قبل المنقب الإيطالي "باولو ماتيه" في ستينيات القرن العشرين بعد الميلاد في موقع "تل مرديخ" جنوب حلب.

وقام الملك البابلي حمورابي بتدمير مملكة ماري نهائياً في منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وبقيت مجهولة حتى

Scanned by CamScanner

اكتشفها المنقب الفرنسي "اندريه باور" في ثلاثينيات القرن العشرين بعد الميلاد في موقع "تل الحريري" على نهر الفرات الأوسط.

وفي القرن السابع قبل الميلاد أقدم الملك السبئي "كرب إيل وتر" على تدمير مملكة أوسان بجنوب اليمن وقسم اراضيها بينه وبين حلفائه، لدرجة اننا لا نعرف موقعها وامتداد اراضيها حتى يومنا هذا، وما هو معروف حدده المؤرخون على وجه الترجيح وليس الدقة.

اما من حيث كشف التاريخ القديم بعضه البعض، فهناك عشرات الأمثلة كذلك، ومنها:

عندما تحدثت النقوش الأكدية عن أن الملك الأكدي سرجون الأول احتل مملكة إبلا في سورية، وتحدثت نصوص الملك الأكدي نرام سين عن تدميرها بسبب ثورتها ضد النفوذ الأكدي، ظل المؤرخون يبحثون عن إبلا دون جدوى، وأخذوا يكتبون تاريخها من واقع ما جاءت به السجلات الأكدية وحسب، واستمر الحال على هذا النحو حتى اكتشفت كما أسلفنا. ومن هنا بدأ العلماء يحللون الآثار والنقوش ويقارنون محتوياتها، حتى تبين لهم أن هذا الاكتشاف قد أماط اللثام عن تلك المملكة التي طالما تحدثت عنها النقوش الأكدية دون ذكر لموقعها، أو دون معرفة أحد بها.

كذلك لدينا مملكة مفقودة حتى اليوم، هي مملكة "مجان" التي ذكرتها النصوص السومرية والأكدية منذ الألف الثالث ق.م كمملكة مهمة يحصل العراقيون القدماء منها على النحاس والديوريت، أو كمملكة متمردة غزاها الملك الأكدي نرام سين وأسر ملكها "مانو دانو" ونهبها كما اخبرتنا نصوصه. وحتى يومنا هذا ما يزال موقعها محل تساؤل رغم ترجيح أنها قامت في الجبل الأخضر بسلطنة عُمان اليوم، وما زاد من هذا الغموض ان اهلها لم يكتبوا، كما أنه لم يعثر على ما يشفي غليل المؤرخين.

اما المملكة الأخرى المفقودة، فهي مملكة "ادوماتو" التي ذكرتها نصوص العصر الآشوري الحديث في الألف الأول ق.م وتحديداً خلال القرنين الثامن والسابع منه. فتحدثت تلك النصوص عن حروب الآشوريين معها، وعن تحالفها مع اعداء الآشوريين، وعن ملكاتها الحاكمات، ووصفت بيئتها بالبدوية ومساكنها بالخيام، وتحدثت تلك النصوص كذلك عن ثرواتها الحيوانية. ومع ذلك بقيت مجهولة حتى رُجح أنها قامت في موقع "دومة الجندل" بالجوف شمال المملكة العربية السعودية. وعلى الرغم من هذا الترجيح الذي لا ننكره، إلا اننا لم نعثر حتى اليوم على نص واحد كتب من قبل اهل "ادوماتو"، وهو ما ضاعف من غموضها؛ لأن اهلها ببساطة لم يعرفوا الكتابة.

Scanned by CamScanner

وكذلك الحال بالنسبة لمدينة البتراء عاصمة الأنباط بالأردن ومركز حضارتهم، فقد غُيّبت من التاريخ منذ ان احتلها الرومان سنة ١٠٦ م، واستمرت مجهولة المكان منذ ذلك الحين لدرجة ان المصادر العربية الإسلامية التي تحدثت عن جميع الممالك العربية القديمة، لم تذكرها ولم تذكر ملوكها. وبقيت البتراء غائبة وتائهة عبر الزمان حتى العصر الحديث حين اكتشفها عن طريق الصدفة المستشرق السويسري "بركهارت" مطلع القرن التاسع عشر الميلادي. ومنذ ذلك الحين بدأ العلماء بدراستها ومقارنة آثارها مع ما جاء في المصادر الكلاسيكية، فكشف عن تاريخها وتفاصيله.

إن هذه الأمثلة تعرفنا على حجم الجهد الهائل الذي يبذله مؤرخو العصور القديمة فهم **لا يكتفون** بتحقيق النصوص والبحث عن حقيقة ما جاء فيها كما هو الحال في وثائق التاريخ الإسلامي، والأوروبي الوسيط، والتاريخ الحديث، وإنما نجدهم يستقصون حقيقة وجود دولة ما أو مدينة بأسرها !، ويستمرون في عملهم هذا حتى تكشف التنقيبات الأثرية عن الحقيقة، وبدون ذلك نجدهم يكتبون تاريخاً متخيلاً بناءً على ما بين ايديهم من نصوص وحسب لينتهي عملهم في الغالب بعلامة استفهام عابرة للسنين.

ولذلك على المشتغل في التاريخ القديم أن يمتاز بالحذر الشديد في التعامل مع معلومات كهذه، وأن يستخدم قواعد النقد

التاريخي المشار إليها في الفصول السابقة، من حيث الدقة والفحص والصبر، حتى لا يكتب تاريخاً يهدمه معول آثاري من خلال كشف أثري يُظهر حضارة او دليلاً ما كان في الحسبان.

وهنا على الباحث في التاريخ القديم ان يكتب المواضيع المجهولة وفقاً لحدود الزمان والمعلومة، وبدقة متناهية، ولا يجب ان يتعداها إلى تاريخ مفترض او متخيل أبداً؛ لأن الكتابة في حدود المعلومة وزمنها تبقى جهداً مشكوراً ومحل تقدير حتى في حال الكشف عن الحضارة المفقودة. أما إذا أطلق لخياله العنان فسيجد جهده يذهب مع رياح الكشوف الأثرية، وسيصبح ما كتب أقرب إلى الأسطورة منه إلى الواقع.

أما إذا انتقلنا إلى الآثار، فمهمة الباحث في التاريخ القديم عسيرة في حال كان متسرعاً، وبخاصة مع شيوع تزوير الآثار والنصوص.

وهنا لا بد أن نتوقف عند النصوص القديمة التي تعد من أهم وثائق التاريخ القديم، ولدينا الكثير منها، وكتبت تواريخ الأمم القديمة بالاعتماد عليها وعلى الآثار. ولكن المشكلة اننا نجد نقوشاً إما مزورة بدقة واحتراف ويكون الكشف عنها غاية في الصعوبة، أو ناقصة وبالتالي لابد من المقارنة والتحري والحذر، أو نقش فيه خطأ في الكتابة فيقتضي الأمر التنبه للكلمة التي حولها

Scanned by CamScanner

علامة استفهام؛ لأن عدم الالتفات لذلك سيقودنا إلى قراءة غير صحيحة، ومن ثم البناء عليها وكتابة تاريخ خطا.

وفي المحصلة النهائية سنجد أن نصوص التاريخ القديم تنطبق عليها كل قواعد النقد التاريخي.

ففي نقد الأصول (النقد الظاهري، أو الخارجي)، يجب ان نتعرف على صاحب النص، و أين وجد، وعصره، ولغته، واسلوب الخط المكتوب، والألقاب المستخدمة وخلو النص من التزوير...

وفي نقد الأمانة والدقة (النقد الباطني أو الداخلي)، علينا ان نعرف حقيقة ما جاء في النص، وهل صاحبه صادق أم مبالغ أم غير دقيق. صحيح أن هناك بساطة في النقوش القديمة، ولكن بعضها يستدعي جهداً كبيراً لفهمه، فمثلاً:

نقش النصر (GL١٠٠٠) الخاص بالملك السبئي كرب إيل وتر ملك سبأ في القرن السابع ق.م، عند دراسته لا بد ان نجيب على الأسئلة التالية:

١- من هو صاحب النقش ؟
٢- ما حقيقة عدالة حروبه ؟
٣- ما طبيعة العصر الذي وجد فيه ؟
٤- كيف كانت العلاقات بين الممالك اليمنية القديمة ؟
٥- ما أسباب الحرب التي شنها كرب إيل وتر؟

٦- هل كانت هذه الحرب بدافع الرغبة أم بدافع الانتقام ؟
٧- وهل عدم ذكر مملكة معين والاكتفاء بذكر مدن الجوف يدل على أن المملكة لم تكن قائمة في القرن السابع ق.م، أم يدل على سقوطها في ظروف معينة او في معركة سابقة مجهولة، وفي هذا النقش ذكر مدنها فقط ؟
٨- لماذا التركيز على معين و أوسان في الشدة والعنف؟
٩- هل بالفعل واجه كرب إيل وتر منافسة و مقاومة شديدة منهما اقتضت مواجهة العنف بالعنف ؟
١٠- هل تدمير أوسان كان بسبب تحالف مملكة قتبان معه، وهي التي كان بينها وبين أوسان عداوة وتنافس، أم لسبب آخر؟
١١- هل كان تدمير مدن معين بسبب تحالف مملكة حضرموت معه، وهي التي كان بينها وبين معين أو مدن معين عداوة وتنافس ؟
١٢- ما حقيقة الأعداد التي ذكرها كرب إيل وتر ؟
١٣- هل تغيير لقب كرب إيل وتر من مكرب الى ملك له علاقة بانتصاراته، أم أن الأمر مرتبط بصراع ديني سياسي ؟

Scanned by CamScanner

وبحسب مبادئ النقد، فإننا لكي نفهم كل ذلك ينبغي علينا اولاً فهم مجمل النقش وظروفه ووقائعه، ثم نقوم بعد ذلك بتجزئته إلى وقائع مستقلة مثل:

الجوانب العسكرية – الجوانب الاقتصادية – الجوانب السياسية – الجوانب الدينية – المسرح الجغرافي...، ثم نقوم بدراسة دقيقة شاملة لكل جزئية على حدة، وبعد القيام بهذه العملية نبدا بإعادة تركيب الصورة وتقديمها كمادة تاريخية متكاملة في سياق تاريخي مترابط وواضح، مبني على فهم دقيق للوقائع وتحليل عميق لها وما آلت إليه، وعلى مقارنة بين الوقائع والواقع، من خلال فهم طبيعة وتاريخ كل مملكة من الممالك المتحاربة (سبأ، اوسان، مدن معين، قتبان، حضرموت).

ومن الأمثلة الأخرى، الحرب بين الملك المصري رمسيس الثاني والملك الحيثي مواتاليش في القرن الثالث عشر ق.م، فقد ادعى كل منهما النصر في نص خاص به، ولمعرفة حقيقة ما حدث، وحقيقة النصر الذي ادعاه كل منهما، علينا التعامل مع الوثيقتين الخاصتين بالملكين المذكورين بحسب قواعد النقد التاريخي.

ففي جانب النقد الظاهري علينا ان نتساءل مع كل وثيقة:

- هل هي أصلية أم مزيفة ؟

- هل هي خاصة بالملك المذكور ام هناك شك حول ذلك؟
- هل تاريخ الوثيقة يتفق مع تاريخ الحرب المعروف من وثائق اخرى ام لا ؟
- هل الخط من النوع السائد في عصر الوثيقة، وما مدى اتقانه ؟
- هل اتبع في توثيق الوثيقة أساليب التوثيق السائدة في ذلك العصر ؟
- هل الأسماء الواردة في الوثيقة معروفة من وثائق اخرى ام مجهولة ؟

اين عثر على الوثيقة ومتى ومن قبل من ؟

- اين تحفظ الوثيقة الآن ؟
- هل كتبت على مادة من النوع المعروف في ذلك الوقت ؟

اما ما يتعلق بالنقد الباطني، فلا بد من التركيز على مضمون الوثيقة، وعلينا أن نتساءل:

- هل يوجد في الواقع ما يدل على انتصار هذا الطرف او ذاك ؟
- لماذا توقفت الحرب واضطر الجانبان لتوقيع هدنة؟
- من طلب هذه الهدنة، المصريون أم الحيثيون؟
- لماذا كل طرف ادعى أن الآخر طلب الهدنة؟

Scanned by CamScanner

- هل توجد مدن مدمرة تعود لهذا الطرف او ذاك ؟
- هل توقف البناء الحضاري في مصر او في حيثا ؟
- هل تغير الاستقرار في إحدى البلدين ؟
- هل وجدت مشاكل داخلية في هذا البلد او ذاك ؟
- هل حدث انهيار للجيش المصري أو الجيش الحيثي ؟
- هل احتفظ كل طرف بالأراضي التي كان يسيطر عليها قبل الحرب في سورية أم تغير الوضع بعد الحرب ؟
- هل اخترق أحد الأطراف الهدنة التي اعقبت هذه الحرب ؟
- هل استمرت التجارة الخارجية لهذا الطرف او ذاك مع بلاد الشام بشكل طبيعي متسق مع ما كان قبل الحرب، أم أن هناك مظاهر تغيير لصالح أو ضد هذا الطرف او ذاك ؟

لماذا وقع الجانبان معاهدة قادش الشهيرة بعد حوالي عام من الحرب ؟

في الواقع، عندما تحرى المؤرخون حقيقة ما جرى في هذه المعركة، اتضح ان اياً من الطرفين لم يحقق النصر المنشود، وانهما وصلا إلى حالة ضعف وانهيار فأجبرا على التوقف عن الحرب وتوقيع هدنة ادعى كل منهما ان الآخر طلبها، ثم افضت هذه الهدنة بعد ذلك لتوقيع معاهدة قادش بينهما عام ١٢٧٠ ق.م.

كذلك لدى الباحث في التاريخ القديم مهمة اخرى تتعلق بالتعامل مع نصوص التوراة؛ لأنها مزورة واحداثها متداخلة، ولكنه يضطر لاستخدام معلوماتها لسد ثغرة أو للمقارنة مع واقعة ما.

ومن امثلة الأخطاء التاريخية في التوراة والتي تدل كذلك على انها نسخ مزورة: فقد ذكرت التوراة أن طاهرقا ملك كوش قاد حملة ضد الأشوريين في فلسطين في عهد الملك الأشوري سنحريب ومناصرة حلفائه هناك، والمعروف أن هذه المعركة التي قادها طاهرقا في سنة ٧٠١ ق.م لم يكن في هذا التاريخ قد صار ملكاً وإنما قائداً عسكرياً في عهد سلفه الملك شبتكا ، أما هو فقد تولى الحكم سنة ٦٩٠ ق.م، وهذا يعني أن هذه الوقائع دونت بعد حدوثها بزمن، وتحديداً عندما كان طاهرقا قد تولى الحكم، فتعامل كُتّاب التوراة مع الحدث القديم وفقاً للواقع الجديد.

طبعاً للوصول إلى الحقائق التي ذكرناها لا بد من القيام بالآتي:

- متى كتب النص التوراتي الذي وردت فيه هذه الرواية ؟
- ما هو تاريخ المعركة التي تحدث عنها النص التوراتي ؟
- ماذا تقصد التوراة بكوش ؟
- هل التوراة تتحدث عن مصر عندما كانت تحكم من قبل مملكة نبته بالسودان في الأسرة ٢٥ ؟

Scanned by CamScanner

- هل كان طاهرقا ملكاً لمصر في عهد الملك الأشوري سنحاريب عندما قاد حملة إلى فلسطين سنة ٧٠١ ق.م ؟

- المعروف تاريخياً أن حكم سنحريب كان في الفترة بين ٧٠٥ – ٦٨٥ ق.م، وحكم طاهرقا كان بين ٦٩٠ – ٦٦٤ ق.م، والمعركة المشار إليها تؤرخ بسنة ٧٠١ ق.م. فمن هو طاهرقا المذكور في التوراة، وما دوره وموقعه في مصر في ذلك الوقت ؟

- هل في النص تزوير للحقائق أم خلط للأحداث ؟

- هل هذا الخلط إن وجد يعني كذب الوقائع المذكورة، أم أن النص دون بعد حدوثها ؟

- هل وجد نص للملك الآشوري سنحريب تتفق وقائعه مع وقائع النص التوراتي ؟

إن النص التوراتي المذكور يعلمنا أن الاستدلال بالنصوص دون نقدها وتدقيق مضمونها يقود – لاشك – إلى نتائج غير صحيحة، وهو ما يجعلنا نستشعر أهمية تطبيق قواعد النقد التاريخي عند تعاملنا مع نصوص التاريخ القديم.

كما يواجه الباحث في التاريخ القديم مشكلة التعامل مع مبالغة الكتب الكلاسيكية مثل كتاب هيرودوت، أو تلك التي لا تحمل اسماً لمؤلف معلوم بينما تتضمن معلومات مهمة. وأبرز مثال على النوع الأخير هو كتاب "الطواف حول البحر الإرتيري" الذي لا يعرف مؤلفه ولكنه يتضمن معلومات مهمة عن الموانئ اليمنية

القديمة والأفريقية، وعن السلع التجارية، وحتى ذكره أسماء ملوك سبئيين مثل "كاليبوس" الذي ثبت أنه الملك "كالب".

إن التعامل مع كتاب كهذا ينطوي على مخاطرة، وكذلك تعاملنا معه وفق قواعد النقد الظاهري سيكون لا قيمة له، لا من حيث الإسم ولا من حيث إثبات أن النسخة المعروفة اصلية ام مزورة؛ فهي اصلاً نسخة وحيدة. ولكن سيكون دور الباحث في التاريخ القديم منصب على نقد مضمون الكتاب وإعمال النقد الباطني؛ لضرورة التأكد من صحة الوقائع الواردة فيه من خلال مقارنتها بالواقع وبغيره من المصادر المعاصرة له، طالما أنها تسد ثغرة تاريخية أو توضح بعض المجهول أو المختلط من احداث التاريخ و مناطقه في المساحة الجغرافية التي تناولها.

وهناك نوع آخر من المشاكل التي يقع فيها الباحث في التاريخ القديم، أو يواجهها، وتتمثل في حرف مسار التاريخ القديم وتزوير حقائقه من قبل المهتمين المُحدَثين، ومثال ذلك:

عندما نقل كل من كمال الصليبي وزياد منى مسرح المواجهات بين الآشوريين والمصريين إلى عسير بدلاً عن بلاد الشام، اعتماداً على تخريجات لأسماء مناطق من خلال المشابهة أو القلب أو فرض التصحيف ثم مقارنتها مع ما يشبهها في مناطق بلاد الشام وفلسطين.

Scanned by CamScanner

وتطبيقاً لقواعد النقد التاريخي، علينا الا نتعامل مع هذه الآراء وما شابهها وفق تصور مسبق يخرجنا عن الحياد المطلوب في عمل المؤرخ، او بعصبية تقلل من مستوى الجهد الذي يبذله الباحث ويمسخ اهدافه، وإنما على الباحث أن يتعامل مع الوقائع التاريخية والشواهد الأثرية بكل تجرد، ليثبت ان ما طرح صواباً او خطا. ويمكن ان نصل إلى ذلك من خلال سلسلة من أسئلة التحري والدقة، ومنها:

- كيف نستطيع القول أن الملك المصري شيشنق الأول في القرن العاشر ق.م حارب في عسير بناء على أسماء مناطق متشابهة، وبخاصة حين نجد لهذا الملك آثاراً تحمل اسمه في مدينة "مجدو" بفلسطين، أو نصوصاً تحمل اسمه في جبيل بلبنان، وكذلك نصوصاً وتماثيل في جبيل عليها أسماء خلفائه وسركون الأول، و وسركون الثاني؟.

- كيف يمكن اعتبار المعركة التي دارت بين نبوخذ نصر الثاني وقوات الملك المصري نيخاو الثاني في لبنان أواخر القرن السابع ق.م أنها دارت في عسير بالجزيرة العربية، وبخاصة اننا لدينا شاهد قبر عثر عليه في صيدا بلبنان يحمل اسم هذا الملك المصري ؟.

- وهل يمكن اعتبار تشابه أسماء المناطق في كل من فلسطين ولبنان من جهة، وعسير من جهة أخرى أدلة على هجرات خرجت من الجزيرة العربية إلى تلك المناطق في عصور قديمة ؟.

- كيف يمكن ان نجعل مصر وبني إسرائيل في عسير وليس في مناطقهم المعروفة، ولدينا من الآثار ما يصعب حصره ؟.

وبطبيعة الحال فإن هذه الأمور فيها مشقة كبيرة لأننا لا نتعامل مع وثائق قابلة للتدقيق والتحقيق، وإنما نتعامل مع ما يمكن ان يكون تحريف للحقائق وتغييب للشواهد المادية المعروفة، وهذا يقتضي تعاملاً حذراً مع مثل هذه الوقائع والفروض والتصورات؛ لأن مناقشتها خارج نطاق الدقة والمنهجية العلمية البحتة يجعل معارضتها غير قابلة للمنافسة أمام المؤرخين والمهتمين، بل غير مقبولة؛ لأنها لا تستقيم مع البحث الرصين والأصيل.

Scanned by CamScanner

الخاتمة

بعد هذا العرض المركز، أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم ما ينفع الباحثين والمهتمين بالتاريخ. وما تحمسي لإعداد هذا الكتيب إلا بعد أن أدركت خلال إشرافي أو مناقشتي للرسائل العلمية، أو حتى تتبع بعض الأبحاث أو الكتب المنشورة، أن خللاً يصاحب غالبية بحوث التاريخ، وعلى وجه الخصوص التاريخ القديم.

فمنهج النقد التاريخي، كما أنه يصقل المهارات الضرورية والمكتسبة للباحثين، فإنه يمثل الشخصية العملية الناضجة للمؤرخ. ولذلك صار لزاماً التدرب على هذا المنهج الذي لا يتعلمه طلابنا كما ينبغي.

لقد أدركت خلال تدريسي هذا المقرر في مرحلة الماجستير، في جامعة طيبة بالمدينة المنورة، أدركت أن قفزات هائلة تحققت لمن أراد أن يتعلم، بل تغير حال الكثيرين بدرجة لافتة، وصاروا قادرين على فهم التاريخ والتعامل معه، ومع أحداثه، وحقائقه ووقائعه، بطريقة تبعث على السعادة والأمل، بل إن منهم من قال لي أنه عرف كيف يقرأ كتب التاريخ وغيرها من الكتب، وكيف يحاور المؤلف، وكيف يتعامل مع كل شيء بواقعية وتجرد وحياد، حتى أن أسلوبه في فهم ما يسمعه تغير تماماً.

يكفي أن أتم هذه الخاتمة بوصف ذلك الطالب لنعرف أهمية النقد التاريخي !!!.

من مراجع الكتاب

أوسينوبوس، لا يخلو (وآخرون) (١٩٨١)، النقد التاريخي، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، ط٤، وكالة المطبوعات، الكويت.

الحلوجي، عبد الاستار (٢٠٠١)، المخطوطات والتراث العربي، ط/١، الدار المصرية اللبنانية، بيروت.

الرحيلي، سليمان (١٤٣٠ هـ)، موجز منهج البحث التاريخي، ط ١، المدينة المنورة.

رستم، أسد (٢٠٠٢)، مصطلح التاريخ، وهو بحث في نقد الأصول وتحري الحقائق التاريخية وإيضاحها وعرضها وفي ما يقابل ذلك في علم الحديث، ط/١، المكتبة العصرية، بيروت.

الصباغ، ليلى (١٩٧٩)، دراسة في منهجية البحث التاريخي، دار خالد بن الوليد، دمشق.

عتر، نور الدين (١٩٩٧)، منهج النقد في علوم الحديث، ط ٣، دار الفكر، دمشق.

عثمان، حسن (١٩٩٣)، منهج البحث التاريخي، ط ١١، دار المعارف، القاهرة.

عز الدين، محمد كمال الدين (١٩٨٤)، التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، دار إقرأ، لبنان.

علال، خالد كبير (٢٠٠٣)، مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي وتدوينه، دار البلاغ، الجزائر.

Scanned by CamScanner

المنجد، صلاح الدين (١٩٥٥)، "قواعد تحقيق النصوص". مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ١، ج٢.

موافي، عثمان (١٩٨٤)، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

ناجي، هلال (١٩٦٤)، محاضرات في تحقيق النصوص، ط/١، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

المؤهلات و الإنتاج العلمي للمؤلف

المؤهلات:

١- ليسانس في (آثار تخصص اصلي وتاريخ تخصص مساند) من قسم الآثار بكلية الآداب جامعة صنعاء عام ١٩٨٨م.

٢- ماجستير في التاريخ القديم من كلية الآداب جامعة بغداد سنة ١٩٩٣م بعنوان "صلات العراق بشبه جزيرة العرب من سنة ١٠٠٠ ق.م وحتى سنة ٥٣٩ ق.م"

٣- دكتوراه في التاريخ القديم من كلية الآداب جامعة الإسكندرية سنة ٢٠٠١. بعنوان "العلاقات التاريخية بين مصر وسورية القديمة خلال الأسرات ٢٢- ٣١ ق.م (٩٤٥ – ٣٣٢ ق.م).

الأعمال العلمية المنشورة:

أولاً الكتب:

١- دراسات في تاريخ الشرق القديم (١): العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية من منتصف الألف الثالث ق.م وحتى منتصف الألف الأول ق.م. مركز عبادي، صنعاء ١٩٩٨.

٢- دراسات في تاريخ الشرق القديم (٢): العراق وبلاد الشام. المنتدى الجامعي، صنعاء ٢٠٠٢.

٣- دراسات في تاريخ الشرق القديم (٣): تاريخ وادي النيل (مصر والسودان). دار الكتاب الجامعي، صنعاء ٢٠٠٤.

Scanned by CamScanner

٤- دراسات في تاريخ الشرق القديم (٤): فلسطين وفينيقيا في سياسة ملوك مصر الفرعونية (٩٤٥ – ٥٢٥ ق.م). دار الكتاب الجامعي، صنعاء ٢٠٠٧.

٥- قراءات فكرية عامة (١): مدارس تفسير التاريخ (فلسفة التاريخ)، نشأة الحضارات وتطورها وسقوطها. دار الكتاب الجامعي، صنعاء ٢٠٠٧م.

٦- دليل المصطلحات العرفية المستخدمة في التعامل مع النزاعات المحلية (دراسة ميدانية مرجعية- مديرية برط المراشي محافظة الجوف ومديرية منبه محافظة صعدة. صنعاء ٢٠٠٨.

٧- المستخلص في النقد التاريخي. تحت النشر.

٨- الاحتلال الفارسي للشرق القديم من سنة ٥٣٩ ق.م وحتى سنة ٣٣٢ ق.م. تحت النشر.

٩- صفحات من تاريخ مملكة سبأ. تحت النشر.

١٠- بحوث محكمة في التاريخ القديم. تحت النشر.

ثانياً: الأبحاث:

١- "دراسة لبعض جوانب الحياة اليومية للعرب القدماء من خلال تتبع ألفاظ التحية والغرام في المصادر". مجلة الإكليل، صنعاء ٢٠٠٦.

٢- "أساليب توثيق الوثائق في حضارات الشرق القديم". مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعية والإنسانية. صنعاء ٢٠٠٦.

٣- "أساليب العقوبات الأشورية المستخدمة ضد قبائل شمال شبه الجزيرة العربية"ن (قدم في مؤتمر الخطوط والكتابات القديمة في مكتبة الإسكندرية بمصر) ٢٠٠٧ .

٤- "الطب في اليمن القديم"، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، العدد الثامن، ابريل ٢٠١٣م.

٥- "دراسة اسباب اختلاف العقوبات الأشورية ضد زعماء الشعوب الأخرى واعوانهم منذ القرن الرابع عشر ق.م وحتى القرن السابع ق.م" (مجلة دراسات تاريخية ،جامعة دمشق، عدد ٩٩- ١٠٠ . ٢٠٠٧).

٦- "تعز في صفة جزيرة العرب"، بحث قدم إلى مؤتمر تعز عبر التاريخ ٢٠٠٨م، ونشر في المجلد الأول من الأعمال الكاملة للمؤتمر، تعز ٢٠٠٩م.

٧- "زيارة الهمداني لمناطق تعز في ضوء كتابه صفة جزيرة العرب، دراسة نقدية تاريخية"، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، صنعاء.

٨- "هل كانت يثرب مملكة ؟ دراسة في نشأة المدينة وتطورها قبل الإسلام"، مجلة كلية الآداب جامعة تعز، تعز.

Scanned by CamScanner

٩- "الدلالات الحضارية لألفاظ المعارف في الكتابات العربية الشمالية، نماذج مختارة"، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، صنعاء.

الكتب التي شارك في تاليفها:

١- تاريخ الأنبياء، جامعة طيبة بالمدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، ١٤٣٤/ ٢٠١٣م.

٢- تاريخ الحضارات العربية القديمة للصف الأول الثانوي، صنعاء ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣م.

٣- تاريخ الحضارات العربية الإسلامية للصف الثاني الثانوي، صنعاء ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣م.

٤- تاريخ العالم الحديث والمعاصر للصف الثالث الثانوي، صنعاء ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣م.

dr_arefahmed@hotmail.com
هاتف: (السعودية)٠٠٩٦٦٥٣٥٥١٤٦٣٥
(اليمن) ٠٠٩٦٧٧١١١٢٢٤٤٦٦

فهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
المقدمة	٥
الفصل الأول صفات الناقد التاريخي	١١
الفصل الثاني البنية المعرفية للنقد التاريخي	١٩
اولاً مفهوم الوثيقة التاريخية وما يرتبط بها	٢١
ثانياً المنهج الإسلامي والمنهج الأوروبي في النقد	٣١
الفصل الثالث نقد الأصول (النقد الظاهري)	٣٥
اولاً نقد التصحيح	٣٧
ثانياً نقد المصدر (السند)	٤٤
الفصل الرابع نقد الأمانة والدقة (النقد الباطني)	٤٩
اولاً نقد الأمانة (النقد الباطني الإيجابي)	٥١
ثانياً نقد الدقة (النقد الباطني السلبي)	٥٧
الفصل الخامس نقد التاريخ القديم	٧١
الخاتمة	٩٠
من مراجع الكتاب	٩١
المؤهلات والسيرة العلمية للمؤلف	٩٣
فهرس المحتويات	٩٧

View publication stats
Scanned by CamScanner